شبكة الألوكة
www.alukah.net

نظريات الحجاج

تأليف
د. جميل حمداوي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نظريات الحجاج

الدكتور جميل حمداوي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نظريات الحجاج

❶ الملخص:

تتناول دراستنا مجموعة من النظريات الحجاجية القديمة والمعاصرة، ومن بينها: نظرية الحجاج الجدلي، والنظرية الكلاسيكية في الحجاج البلاغي مع أرسطو، والنظرية الجديدة في الحجاج البلاغي مع الأرسطيين الجدد كشايم بيرلمان وأولبريخت تيتيكا، ونظرية الحجاج اللغوي مع أنسكومبر و أوزوالد دوكرو، ونظرية الحجاج الخطابي مع روث أموسي وميشيل مايير وغيرهما، ونظرية الحجاج المنطقي الطبيعي مع جان بليز غرايس، ونظرية الحجاج التداولي المرتبطة بأفعال الكلام والاستلزام الحواري.

وتنتهي هذه الدراسة باستعراض أهم مبادئ المقاربة الحجاجية على مستوى التحليل والتطبيق والإجراء.

❷ Summary :

Our research studies a group of orbital theories ancient and contemporary, including: the theory of pilgrims dialectical, the classical theory of pilgrims rhetoric with Aristotle, the new theory in the pilgrims rhetorical with new Alerstian as Chaïm Perlman and Olbrechts - Tyteca, the theory of pilgrims language with J. Anscomber and Oswald Ducrot, the theory of orbital discourse with Ruth Amossy and Michel Mayer and others, the theory of natural logical pilgrims with Jean- Blaise Grice, and pragmatic

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

pilgrims theory associated with speech acts and conversational implicature.

This study concludes the review of the most important principles of orbital approach at the level of analysis and the application procedure.

❸مفاتيـــح الدراسة:

الحجاج- البلاغة- الإقناع- التأثير- الحوار- الجدل- النظريات الحجاجية- الإيتوس- الباتوس- اللوغوس- البلاغة الجديدة- الجدلية التداولية المعاصرة- الحجاجية اللغوية- المنطق الطبيعي- الحجاج في الخطاب- المقاربة الحجاجية- الحجاج التداولي- نظرية أفعال الكلام- الاستلزام الحواري- الخطاطة الحجاجية- التمثلات الحجاجية...

❹عناصر الدراسة:

تمهيد

◆نظرية الحجاج الجدلي.

◆نظرية الحجاج البلاغي الأرسطي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- نظرية الحجاج البلاغي مع الأرسطيين الجدد.
- نظرية الحجاج اللغوي أو اللساني.
- نظرية الحجاج الخطابي .
- نظرية الحجاج التداولي.
- نظرية الحجاج المنطقي الطبيعي.
- آليات المقاربة الحجاجية.

خاتمـــة.

مصادر و مراجع.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

سورة النحل الآية: **125**.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تمهيـــد:

لقد كثر الحديث اليوم عن الحجاج ودوره الناجع في مقاربة مختلف الخطابات العلمية والإنسانية والثقافية، وقد تناولته بالتحليل والدرس والتقويم والمعالجة دراسات وأبحاث وكتب ومقالات من الصعب حصرها؛ إذ أصبح الحجاج موضوعا لافتا للانتباه بسبب حضوره الكلي أو الجزئي أو الضمني في مجموعة من الخطابات، سواء أكانت فلسفية أم أخلاقية أم قضائية أم أدبية أم سياسية أم سيميائية أم لسانية أم اجتماعية أم فنية ...ويعني هذا أن عصرنا هو عصر الحجاج والجدال والإقناع والـــتأثير والحوار سيما مع تطور وسائل الإعلام، وانتعاش الديمقراطية في مجموعة من الدول الغربية و العربية. و مافتئت الحاجة ماسة إليه بعد أن كثر الخلاف والعنف والتطرف والإرهاب؛ لأن الحجاج سبيل العقل والمنطق والاختلاف والتسامح والحوار البناء والجدال الحسن.

ومن هنا، أصبح الحجاج أداة لمناقشة الأفكار مهما كانت طبيعتها ومصداقيتها، وغدا آلية مهمة في محاورة الأطراف المشاركة في عملية التواصل، والغرض من كل ذلك هو التأثير أو الإقناع أو الحوار، أو مناقشة الآراء المطروحة بالتشكيك في صحتها أو معارضتها أو تأييدها أو تثبيتها ، أو اقتراح أفكار أخرى للوصول إلى جواب مقنع وشاف لمجموعة من القضايا والأسئلة الخلافية التي يتجادل حولها الناس والمفكرون والعلماء على حد سواء.

وللإشارة، فليس الحجاج ظاهرة فكرية حديثة، بل له امتدادات قديمة خاصة عند العلماء اليونان والرومان والمسلمين، ويتجلى الحجاج واضحا في ثقافتنا العربية الإسلامية في علم الكلام والفلسفة وعلم الأصول والنحو والمناظرة والمنطق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والخطابة... وأكثر من هذا، فثمة في عصرنا هذا خطابات حجاجية بامتياز توظف الإقناع أو التأثير أو الحوار مباشرة كما نجد ذلك في الإشهار أو السياسة. وفي المقابل، نجد خطابات أخرى توظف الحجاج بطريقة غير مباشرة بالاعتماد على التخييل والرمزي والجمالي والفني كما في الرواية والقصة والمسرح والسينما ....

هذا، وينبني الحجاج في طابعه العام على طرح الدعوى والدعوى المضادة، واستعراض الحجج والأدلة والأمثلة لإفحام الخصم بغية الوصول إلى نتيجة قد يقتنع بها المتلقي أو لا يقتنع. كما يستند الحجاج إلى مجموعة من الآليات الاستدلالية وأساليب التفسير والبرهنة، مثل: أسلوب التعريف، وأسلوب الوصف، وأسلوب السرد والوقائع، وأسلوب الشرط والافتراض، وأسلوب التمثيل، وأسلوب المقارنة، وأسلوب التقويم والحكم، دون أن ننسى بعض الآليات الحجاجية الأخرى، مثل: الشرح، والاستقراء، والقياس، والاستدلال، والتعارض، والجدل، والتطابق، والاستثناء، والهدف، والسبب، والإضافة، والنتيجة، واستعمال الفعل المضارع الدال على الحضور، وتمثل الصدق والحقيقة ، وتوظيف الظروف بكل أنواعها لاسيما الدالة على الحجاجية، مثل: من الأكيد، وربما، ومن المحتمل، ومن المفترض، ومن الثابت... و الاستعانة بضمير المتكلم، والانطلاق من الذاتية في الخطاب، وتوظيف أحكام التقويم، والتدخل في الخطاب عن طريق مجموعة من المؤشرات التلفظية الذاتية والنبرات التنغيمية الدالة على التعجب أو التهكم أو السخرية... ويقوم الحجاج كذلك على الجدل المبني على الأطروحة ونقيضها وتركيبها، واستعمال أنواع مختلفة من الأدلة كالأدلة المنطقية، وأدلة الواقع والتجربة، وأدلة الاستشهاد والتضمين والاقتباس، وأدلة المقايسة والمماثلة...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن جهة أخرى، يهدف المتكلم المحاجج إلى التأثير على المتلقي باستعمال ضمير المخاطب، والترغيب والترهيب، وصيغ التنبيه والتأثير والإقناع، وأساليب النداء والحث والنصيحة والإرشاد... فضلا عن الصور البلاغية وأساليب التحفيز والتطويع...

وعليه، يمكن الحديث عن مجموعة من النظريات والاتجاهات الحجاجية قديما وحديثا.إذا، ماهي أهم هذه النظريات الحجاجية؟ وماهي تصوراتها ؟ وماهي مميزاتها النظرية والتطبيقية؟ وماهي آليات المقاربة الحجاجية في تحليل النصوص والخطابات إجراء وتطبيقا وتوظيفا؟ هذا ما سنستجليه في موضوعنا هذا.

☚ نظرية الحجاج الجدلـــي:

يراد بالجدل أو الديالكتيك (Dialictique) الجدل أو المحاورة أو استعراض الأفكار المتناقضة حول موضوع ما.أي : إن الجدل هو تبادل الحجج والأفكار وتبادل وجهات النظر المختلفة من أجل الوصول إلى الحقيقة ، أو هو ذلك الجدال بين طرفين دفاعًا عن وجهة نظر معينة، ويكون غالبا تحت لواء المنطق أو اللوغوس أو مقاييس الاستدلال. وينبني الجدل في المادية التاريخية الهيجيلية أو الماركسية على الأطروحة (thèse) والنقيض (antithèse) والتركيب (synthèse). وقد يكون الجدل كميا أو كيفيا، ويقوم بدور كبير في تغيير المجتمعات الإنسانية، ويتحكم بشكل من الأشكال في تاريخ صيرورة الطبقات الاجتماعية. وقد أصبح الجدل في الفكر الفلسفي الحديث دالا على كل التناقضات المادية التي تعرفها المجتمعات الإنسانية . كما يؤشر أيضا على الدينامكية والحركية والتغيير.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن جهة أخرى، كان الجدل في دلالاته اللغوية الأولى يعني الكلام واللوغوس ، وقد تبلور هذا المصطلح مع الفيلسوف اليوناني زينون الإيلي، بيد أنه سينتعش فلسفيا مع سقراط وأفلاطون وهيجل وماركس، وإبستمولوجيا مع جاستون باشلار...

ويمكن القول بأن الحجاج الجدلي هو الأقدم في تاريخ الإنسان ، حيث تحفل الكتب السماوية بالأخبار الدينية وقصص الرسل والأنبياء التي تتضمن الحجاج الجدلي سيما الجدل الذي تتعارض عبره الهداية والضلال، أو الحق والباطل، أو التوحيد والشرك. وكان أغلب الرسل والأنبياء يجادلون قومهم بالتي هي أحسن، كما فعل نوح وعيسى وموسى وصالح وهود وإبراهيم ومحمد – صلوات الله عليهم جميعا – مع أقوامهم. وفي هذا النطاق، يقول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1]

ولقد استعمل الجدال الحسن أيضا عند المسلمين في مجادلتهم للناس الضالين والفرق المنحرفة وأهل البدع ومحاورة أهل الكتاب بالحكمة والموعظة الحسنة. وعلى الرغم من إيجابية الجدل الحسن، فقد يتحول في أحيان أخرى إلى جدل سلبي يكمن في المعارضة من أجل المعارضة أو الخلاف من أجل الخلاف، ولا يراد به إلا الضلال الباطل والنقاش العقيم. وفي هذا الصدد، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[2]

هذا، وقد عرف الفلاسفة اليونان الأوائل بالمنهج الجدلي كما هو حال سقراط وأفلاطون والسفسطائيين، واتخذوه منهجا لإقناع الآخرين أو التأثير فيهم، واستعمل

---

[1] – سورة النحل، الآية: 125، القرآن الكريم برواية ورش لقراءة نافع.

[2] – سورة الكهف، الآية 18، القرآن الكريم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أيضا وسيلة للوصول إلى الحقيقة أو بناء المعرفة الحقة. بيد أن هناك من استعمله للتضليل والتشكيك وتعتيم الحقيقة كما عند معلمي السفسطة.

وعليه، فقد ظهرت المدرسة السفسطائية في القرن الخامس قبل الميلاد، بعدما أن انتقل المجتمع الأثيني من طابع زراعي إقطاعي مرتبط بالقبيلة إلى مجتمع تجاري يهتم بتطوير الصناعات، وتنمية الحرف، والاعتماد على الكفاءة الفردية والمبادرة الحرة. وأصبح المجتمع في ظل صعود هذه الطبقة الاجتماعية الجديدة (رجال التجارة وأرباب الصناعات) مجتمعا ديمقراطيا يستند إلى حرية التعبير، والاحتكام إلى المجالس الانتخابية، والتصويت بالأغلبية. ولم يعد هناك ما يسمى بالحكم الوراثي أو التفويض الإلهي، بل أصبح المواطن الحر له الحق الكامل في الوصول إلى أعلى مراتب السلطة. لذلك، سارع أبناء الأغنياء إلى تعلم فن الخطابة والجدل السياسي لإفحام خصومهم السياسيين. وهنا، ظهر السفسطائيون لكي يزودوا هؤلاء بأسلحة الجدل والخطابة، واستعمال بلاغة الكلمة في المرافعات والمناظرات الحجاجية والخطابية. وقد تحولت الفلسفة آنئذ إلى فن الجدل بامتياز، واتخذت وسيلة لكسب الأرباح المادية سيما أن أغلب المتعلمين من طبقة الأغنياء. و نذكر من الفلاسفة السفسطائيين جورجياس وكاليكيس وبروتاغوراس...

و يعد سقراط أب الفلاسفة اليونانيين، وقد أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض. ويعني هذا أن الحكماء الطبيعيين قد ناقشوا كثيرا من القضايا التي تتعلق بالكون وأصل الوجود وعلته الحقيقية التي كانت وراء انبثاق هذا العالم وهذا الوجود الكوني. وعندما ظهر سقراط غير مجرى الفلسفة، فحصرها في أمور الأرض وقضايا الإنسان والذات البشرية، فاهتم بالأخلاق والسياسة . وقد ثار ضد السفسطائيين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الذين زرعوا الشك والظن، ودافع عن الفلسفة باعتبارها المسلك العلمي الصحيح للوصول إلى الحقيقة، معتمدا في ذلك على العقل والجدل التوليدي والبرهان المنطقي. والهدف من الفلسفة لديه هو تحقيق الحكمة العقلية، وخدمة الحقيقة لذاتها، وليس الهدف وسيلة أو معيارا خارجيا كما عند السفسطائيين الذين ربطوا الفلسفة بالمكاسب المادية والمنافع الذاتية والعملية. وكان سقراط ينظر إلى الحقيقة في ذات الإنسان، وليس في العالم الخارجي، وما على الإنسان إلا أن يتأمل ذاته ليدرك الحقيقة . لذلك، قال قولته المأثورة :" أيها الإنسان اعرف نفسك بنفسك."

وبعد سقراط، جاء أفلاطون ليقدم تصورا فلسفيا عقلانيا مجردا؛ إذ أعطى الأولوية للفكر والعقل والمثال، بينما لا وجود للمحسوس في فلسفته المفارقة لكل ما هو نسبي وغير حقيقي. ولأفلاطون- كما هو معروف- نسق فلسفي متكامل يضم تصورات متماسكة حول الوجود والمعرفة والقيم.

هذا، وقد قسم أفلاطون العالم الأنطولوجي إلى قسمين :العالم المثالي والعالم المادي، فالعالم المادي هو عالم متغير ونسبي ومحسوس. وقد استشهد أفلاطون بأسطورة الكهف ليبين بأن العالم الذي يعيش فيه الإنسان هو عالم غير حقيقي، وأن العالم الحقيقي هو عالم المثل الذي يوجد فوقه الخير الأسمى الذي يمكن إدراكه عن طريق التأمل العقلي والتفلسف. فالطاولة التي نعرفها في عالمنا المحسوس غير حقيقية. أما الطاولة الحقيقية، فتوجد في العالم المثالي. و توجد المعرفة الحقيقية أيضا في عالم المثل الذي يحتوي على حقائق مطلقة ويقينية وكلية. أما معرفة العالم المادي، فهي نسبية تقريبية وجزئية وسطحية، و تدرك المعرفة في عالم المثل عن طريق التفلسف العقلاني، ومن هنا، فالمعرفة – حسب أفلاطون- تذكر، والجهل نسيان. ويعني هذا أننا كلما ابتعدنا عن العالم المثالي إلا وأصابنا الجهل. لذا، فالمعرفة الحقيقية أساسها إدراك عالم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المثل، وتمثل مبادئه المطلقة الكونية التي تتعالى عن الزمان والمكان. ومن ثم، فأصل المعرفة هو العقل، وليس التجربة أو الواقع المادي الحسي الذي يحاكي عالم المثال محاكاة مشوهة .

وعلى مستوى الأكسيولوجيا أو الأخلاق، فجميع القيم الأخلاقية من خير وجمال وعدالة نسبية في عالمنا المادي ، ومطلقة حقيقية في عالم المثل المطلق والأزلي.

وهكذا، يتبين لنا بأن فلسفة أفلاطون فلسفة مثالية مفارقة للمادة والحس، تعتبر عالم المثل العالم الأصل، بينما العالم المادي هو عالم زائف ومشوه وغير حقيقي. وقد تجاوز أفلاطون المعطى النظري الفلسفي المجرد ليقدم لنا تصورات فلسفية واجتماعية وسياسية في كتابه (**جمهورية أفلاطون**). ويلاحظ أيضا أن التصور الأفلاطوني يقوم على عدة ثنائيات: العالم المادي في مقابل العالم المثالي، وانشطار الإنسان إلى روح من أصل سماوي وجسد من جوهر مادي، وانقسام المعرفة إلى معرفة ظنية محسوسة في مقابل معرفة يقينية مطلقة. وعلى المستوى الاجتماعي، أثبت أفلاطون أن هناك عامة الناس الذين يعدون سجناء الحواس الظنية، و الفلاسفة الذين ينتمون إلى العالم المثالي؛ لكونهم يتجردون من كل قيود الحس والظن وعالم الممارسة.

وإذا كان أفلاطون فيلسوفا عقلانيا برهانيا، إلا أنه قد وظف الجدل التوليدي مثل أستاذه سقراط كما يظهر ذلك جليا في مجموعة من محاوراته الفلسفية، مثل: محاورة جورجياس ومحاورة فيدر... وكان الجدل عنده هو المنهج الذي به تتجرد النفس من المحسوس، وترتفع إلى المعقول دون استخدام المحسوس، وإنما يتم من خلال الانتقال من فكرة إلى فكرة بواسطة فكرة. وتنقسم الجدلية عنده إلى نوعين: جدلية صاعدة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من العالم المحسوس إلى الخير الأسمى، وجدلية هابطة من الخير الأسمى إلى العالم المحسوس. ومن ثم، فالجدلي هو الذي يحسن السؤال والجواب.

هذا، وقد عرفت الثقافة الإسلامية في العصور الوسطى الجدل الفكري أو المقياس الجدلي خصوصا مع علماء الكلام والفلاسفة ، إذ تناول علماء الكلام ، بعد نشوب الفتنة الكبرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وظهور مجموعة من الفرق الكلامية كالمرجئة والشيعة والخوارج والمعتزلة والماتريدية والأشاعرة، مجموعة من القضايا المتعلقة بحقائق أصول الدين والعقيدة، كالتوحيد (رؤية الله- كلام الله- صفات الله)، والعدل(نظرية الصلاح والأصلح- نظرية الحسن والقبيح...)، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولقد اختار علماء الكلام منهج الجدل والمناظرة من أجل الدفاع عن هذه الحقائق الدينية، وإبداء وجهة النظر في المسائل الدينية والسياسية العويصة التي فرضها الواقع السياسي، وذلك في علاقة بفقه النص وفقه الواقع. وفي هذا الصدد، يعرف ابن خلدون علم الكلام بأنه "العلم الذى يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة."[3]

ومن المعروف أن الجدل والمناظرة يخضعان نظريا لمجموعة من الثوابت المنهجية، مثل: وجود المدعي والمدعى عليه، ووجود دعوى الاعتراض، والارتكان إلى الدليل (البينة، والشاهد، والبرهان، والوثيقة، والحجة...)، واستعمال العقل والمنطق في التناظر، والابتعاد عن التعصب والعنف والتجريح والقذف ، واستعمال الحوار البناء القائم

[3] – ابن خلدون **:تاريخ ابن خلدون**، الجزء الأول، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ص: 485.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على الموعظة والحكمة الحسنة، واستقصاد الحقيقة الهادفة، وعدم الوقوع في التناقض، والانطلاق من المسلمات والبدهيات بغية الحجاج والتأثير والإقناع....

ويلاحظ أن أهم الفرق الكلامية التي كان لها باع كبير في عملية الحجاج، نذكر منها: المعتزلة والأشاعرة، فالفرقة الأولى كانت عقلانية تعطي الأولوية للعقل قبل ورود النص، فترى العقل السبيل الوحيد لمعرفة الصواب من الخطأ، والتمييز بين الخير والشر، والتفريق بين الحسن والقبيح. وقد دافعت عن حرية الإنسان في خلق أفعاله على غرار القدرية (معبد بن خالد الجهني وغيلان الدمشقي)، ضد الجبرية (جهم بن صفوان ت.128هـ)، التي كانت تقول بأن الإنسان مجبر على أداء أفعاله خيرا وشرا. وقد قالت المعتزلة كذلك بنظرية الصلاح والأصلح. في حين، كانت فرقة الأشاعرة (نسبة إلى أبي الحسن الأشعري ت.324هـ) نصية، تعطي الأولوية للنص على حساب العقل، وقد قالت بنظرية الكسب على مستوى أفعال الإنسان. ويعني هذا أن الإنسان ليس حرا حرية مطلقة، وليس مجبرا جبرية مطلقة . بمعنى أن الإنسان يكسب ما يشاء من أفعال الخير والشر التي خلقها الله، فيستعملها بإرادته ومشيئته كما يريد ثوابا وعقابا. بمعنى أن الله الذي خلق الإنسان يخلق فيه نوعا من القدرة والاستطاعة يحسه الإنسان أثناء الفعل ومعه. هذا النوع من القدرة والاستطاعة يسميه أبو الحسن الأشعري كسبا. أي: إن الإنسان يكسب القدرة على الفعل حين القيام به، ولكن لا يستطيع الكسب إلا بقدرة من الله.

وإذا كان علماء الكلام يستعملون الجدل والعقل والمنطق والبرهان في الدفاع عن الحقائق الدينية والسياسية، ويستعملون التأويل في قلب الظاهر، واستكشاف الباطن، و تحويل الحقيقة إلى المجاز درءا لكل تشبيه وتجسيد وتشخيص، وإبعادا لقياس الغائب على الشاهد، فإن ثمة انتقادات توجه إلى علم الكلام فيما يخص المنهج والتأويل،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فابن رشد – مثلا- يرى أن منهج علماء الكلام منهج افتراضي قائم على الجدل والاحتمال، ينطلق من مقدمات افتراضية، ويصل إلى نتائج افتراضية. ويشبه هذا المنهج منهج الشكاك من السفسطائيين الذين كانوا ينطلقون من نتائج خاطئة، ويصلون إلى نتائج خاطئة. في حين، إن منهج الفلاسفة منهج برهاني ينطلق من نتائج يقينية ليصل إلى نتائج يقينية، أما منهج الفقهاء والجمهور من عامة الناس، فمنهجهم ظاهري وخطابي. وفي هذا النطاق، يقول ابن رشد:" وقد يعرض للنظار في الشريعة تأويلات من قبل تفاضل الطرق المشتركة بعضها على بعض في التصديق، أعني إذا كان دليل التأويل أتم إقناعا من دليل الظاهر، وأمثال هذه التأويلات هي جمهورية، ويمكن أن تكون فرض من بلغت قواهم النظرية إلى القوة الجدلية، وفي هذا الجنس يدخل بعض تأويلات الأشعرية، والمعتزلة، وإن كانت المعتزلة ، في الأكثر، أوثق أقوالا.

وأما الجمهور ، الذين لا يقدرون على أكثر من الأقاويل الخطابية، ففرضهم إمرارها على ظاهرها، ولا يجوز أن يعلموا ذلك التأويل أصلا.

فإذاً، الناس في الشريعة على ثلاث أصناف:

صنف ليس هو من أهل التأويل أصلا، وهم الخطابيون، الذين هم الجمهور الغالب، وذلك أنه ليس يوجد أحد سليم العقل يعرى من هذا النوع من التصديق.

وصنف هو من أهل التأويل الجدلي، وهؤلاء هم الجدليون، بالطبع فقط، أو بالطبع والعادة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وصنف هو من أهل التأويل اليقيني، وهؤلاء هم البرهانيون، بالطبع والصناعة، أعني صناعة الحكمة."[4]

هذا، وقد عاب ابن رشد على الفرق الكلامية تصريحها بتأويلاتها الجدلية ، فكانت وراء اندلاع فتن كثيرة، وما كان عليها أن تصرح بذلك إلا لأصحاب التأويل وأهل العلم والنظر والعارفين بالله، وما كان عليها أن تخرج بذلك على أهل الظاهر وعامة الناس، كما فعل الحلاج المتصوف الذي خرج على الناس قائلا: " أنا الله". فما كان من الفقهاء وعامة الناس إلا أن صلبوه عقابا له على كفره وزندقته. وفي هذا السياق، يقول ابن رشد: " ومن قبل التأويلات، والظن بأنها يجب أن يصرح بها في الشرع للجميع، نشأت فرق الإسلام، حتى كفر بعضهم بعضا، وبدع بعضهم بعضا، وبخاصة الفاسدة منها.

فأولت المعتزلة آيات كثيرة، وأحاديث كثيرة، وصرحوا بتأويلهم للجمهور، وكذلك فعلت الأشعرية، وإن كانت أقل تأويلا. فأوقعوا الناس من قبل ذلك في شنآن وتباغض وحروب، ومزقوا الشرع، وفرقوا الناس كل التفريق.

وزائدا إلى هذا كله أن طرقهم التي سلكوها في إثبات تأويلاتهم ليسوا فيها لا مع الجمهور ولا مع الخواص، أما مع الجمهور فلكونها أغمض من الطرق المشتركة للأكثر، وأما مع الخواص فلكونها إذا تؤملت وجدت ناقصة عن شرائط البرهان.وذلك يقف عليه، بأدنى تأمل، من عرف شرائط البرهان.

بل كثير من الأصول التي بنت عليها الأشعرية معارفها هي سوفسطائية، فإنها تجحد كثيرا من الضروريات، مثل: ثبوت الأعراض، وتأثير الأشياء بعضها في بعض،

---

[4] – ابن رشد: **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة 1999م، ص:57-58.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ووجود الأسباب الضرورية للمسببات، والصور الجوهرية، والوسائط، ولقد بلغ تعدي نظارهم، في هذا المعنى، على المسلمين، أن فرقة من الأشعرية كفرت من ليس يعرف وجود الباري سبحانه بالطرق التي وضعوها لمعرفته في كتبهم، وهم الكافرون والضالون بالحقيقة.

ومن هنا، اختلفوا، فقال قوم: أول الواجبات النظر. وقال قوم: الإيمان، أعني من قبل أنهم لم يعرفوا أي الطرق هي الطرق المشتركة للجميع، التي دعا الشرع من أبوابها جميع الناس، وظنوا أن ذلك طريق واحد، فأخطأوا مقصد الشارع، وضلوا وأضلوا."[5]

وعليه، فقد تسلح علماء الكلام بالجدل والمناظرة من أجل الدفاع عن الحقيقة الربانية، وتتريه الذات الإلهية من كل نقص أو عجز أو تجسيد بشري. و لو أخذ المسلمون بمنهج المعتزلة في إدراك الحقائق، بدلا من اتباع المنهج الأشعري، فاستخدموا العقل والبرهان ، ثم دافعوا عن حرية الإنسان في الخلق والتصرف والاستكشاف والابتكار، لكانوا في مكانة أحسن من مكانتهم الاتكالية التي أصبحوا عليها الآن!

ومن جهة أخرى، يذهب الفلاسفة المسلمون بما فيهم: الكندي، والفارابي، وابن سينا، وابن طفيل، وابن باجة، وابن رشد... إلى أن الحقيقة هي الهدف الأسمى الذي يسعى إليه الإنسان الفيلسوف، وهي أس الكمال والسعادة والفضيلة. وبالتالي، لا تتحقق هذه الحقيقة إلا عن طريق استخدام العقل والبرهان والنظر المنطقي. لكن هؤلاء الفلاسفة كانوا يعترفون بأن ثمة حقيقتين: الحقيقة الفلسفية والحقيقة الشرعية. ومن ثم، تحيل هاتان الحقيقتان على مستوى التفسير الانعكاسي على الصراع الجدلي

[5] – ابن رشد: **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، ص:63-64.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الذي احتدم في الواقع العربي الإسلامي بين الفقهاء والفلاسفة، وخاصة في العصر العباسي. إذ يحاول الفلاسفة الدفاع عن الفلسفة بصفة عامة، والفلسفة اليونانية بصفة خاصة، باحثين عن الشرعية النصية والقانونية والفقهية والواقعية التي تسمح لهم بممارسة فعل التفلسف، والاشتغال بفعل التمنطق. لكن هؤلاء الفلاسفة وجدوا معارضة كبيرة من قبل الفقهاء الذين كانوا ينطلقون من الظاهر النصي محاربين الفلسفة جملة وتفصيلا، ثم يربطونها بالكفر والزندقة، قائلين: من تمنطق تزندق. والدليل على ذلك ما فعلوه مع ابن رشد في الأندلس، حينما أحرقوا كتبه الفلسفية والمنطقية إبان الدولة الموحدية. لذلك، اضطر الفلاسفة المسلمون إلى عملية التوفيق بين الفلسفة والشريعة من أجل إثبات حقيقة أساسية، ألا وهي: أن الحق لا يضاد الحق.

وإذا كان علماء الكلام قد وظفوا الجدل الحجاجي ، فإن الفلاسفة قد اختاروا الحجاج البرهاني والمنطقي الذي وضع أسسه أرسطو في كتابه عن المنطق، وسماه بـــ (أورغانون/ Organon).

وإذا كان الفقهاء يعتمدون على ظاهر النص في الوصول إلى الحقيقة الربانية، وعلماء الكلام يستندون إلى الجدل الافتراضي، والفلاسفة يعتمدون على العقل والمنطق أو البرهان الاستدلالي، فإن المتصوفة يعتمدون على الذوق والحدس والوجدان والقلب في إدراك هذه الحقيقة السرمدية. أي: إن لغتهم لغة باطنية تنفي الوساطة، وترفض الحسية، وتتجاوز نطاق الحس والعقل إلى ماهو غيبي وجداني وذوقي . وهنا، يمكن الحديث عن معرفة لدنية ذوقية وجدانية وروحانية.

وإذا انتقلنا إلى الثقافة الغربية المعاصرة، فمازال الحجاج الجدلي حاضرا في الخطابات السياسية والإعلامية والصحفية والفلسفية والمناظرات والسجالات الحوارية العادية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أو الراقية. وهنا، يمكن الإشارة على سبيل المثال إلى الاتجاه الجدلي التداولي مع دوغلاس والتون (Douglas Walton)[6]. ويعنى هذا الاتجاه بدراسة الحجة أو الدليل في بعديه المنطقي والسياقي، واستكشاف القواعد التي تتحكم في الدليل الحجاجي داخل حوار ما. بمعنى أن هذه المقاربة تهتم باستخلاص القواعد والمعايير التي يستند إليها الدليل الحجاجي. ويعرف دوغلاس الجدلية التداولية بأنها التي تدرس الدليل الحجاجي داخل سياق حواري ما لمعرفة طرائق الاستدلال والبرهنة العقلية . ويقصد بالتداولي وجود تواصل وجدل بين الأطراف المتحاورة تتحدث فيما بينها مستخدمة الأدلة الحجاجية ، ويتم كل هذا بطبيعة الحال داخل سياق خطابي، حيث تختبر الأدلة الحجاجية في علاقة مع تطورها داخل سياق خطابي ما، وتحلل كذلك في سياقات حوارية حقيقية مأخوذة من الحياة العادية.

ومن المؤثرات التي تحكمت في هذه النظرية تصورات كل من بول لوريتزن (Paul Lorenzen)، وإريك كراب (Eric Krabbe)[7] ، وجاكو هينتيكا (Jaakko Hintikka)[8] ، وودس (Woods) [9] وآخرين...

إذاً، تسعى الجدلية التداولية إلى فهم الأدلة الحجاجية وتحليلها ونقدها، وفرز الدليل الصائب من الدليل الضعيف، أو تبيان الدليل القوي من الدليل الضعيف، و تصنيف

---

[6] - Douglas Walton, **Plausible Argument in Everyday Conversation**, SUNY Press, 1992, p. 177.

[7]- Krabbe, Erik C. et J. A. van Laar: (About Old and New Dialectic: Dialogues, Fallacies, and Strategies). Informai Logic, vol. 27, no l,2007 , p. 27-58.

[8] -Hintikka, Jaako: (Is Logic the Key to AlI Good Reasoning?). **Argumentation,** vol. 15, no 1, 2001, p. 35-57.

[9]- Woods J. et D. N. Walton: **Critique de l'argumentation: Logiques des sophismes ordinaires**. Paris: Kimé, 1992, 233 pages.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحوارات ، ورصد الديناميكية الجدلية، والتوقف عند الحوار النقدي. ويرتبط الدليل الحجاجي بتحقيق هدف ما. أي: ينطلق من أساس ما (المحتوى أو المعطى)، ويصل إلى هدف ما(تقديم حل ما)، والهدف بطبيعة الحال هو إقناع السامع. ويتجلى الدليل الحجاجي واضحا في الحوار الذي تشارك فيه مجموعة من الأطراف. ومن أهم هذه الحوارات نذكر: الإقناع (المحادثة النقدية)، والحوار، والتفاوض، والتحقيق، والمداولة، والبحث عن المعلومة...

وبناء على ما سبق، تدعو الجدلية التداولية إلى وضع برنامج لدراسة الحجاج الذي يظهر بشكل واضح في نقد الحجج التي تتضمنها الحوارات اليومية والواقعية. فهي تساعدنا على فهم الأدوات المستعملة في بناء الحوار الجدلي بالتركيز على السياق، وتحديد مراحل الحوار وخططه الإستراتيجية. وهنا، يقترب الجدل التداولي من الحجاج بمفهومه العام والخاص. بمعنى أن الجدل هنا لا يقتصر على ما هو حواري فقط، بل يبحث عن الطابع المقاصدي في هذا الحوار باستكشاف التأثير والإقناع.

وخلاصة القول، ترتبط الجدلية التداولية – كما قلنا سالفا- بدوغلاس واطسون[10] ، وهي جدلية نقدية جديدة منقحة، تضع مجموعة من المعايير لتقويم الحجج الموجودة داخل حوار ما في سياق خطابي معين. أي: تقوم بنقد الحجج والأدلة المستعملة في الحوارات الحجاجية الإقناعية. وتهدف هذه المقاربة إلى وضع تيبولوجية أو تصنيف للحوارات التي يعد فيها الحوار الإقناعي أهم هذه الحوارات لطابعها الحجاجي. وتتم دراسة هذا الحجاج في الحوارات العادية الجارية بين المتحدثين في الواقع اليومي. ومن ثم، يتمثل طابع التداولي في وجود أطراف تواصلية متعددة، يتم بينها الحوار أو الجدل

[10] -Douglas Walton: **The New Dialectic: Conversational Contexts of Argument.** Toronto: University of Toronto Press, 1998, 304 pages.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بطرح الأفكار ومناقشتها. ويحلل الدليل الحجاجي من خلال ربطه بوظيفته النهائية التي تكمن في تحقيق الهدف، ومدى مساهمته في تعزيز الحوار وتعضيده جدليا، بغية الوصول إلى اختيار الدليل الصائب أو الأقوى في سلم الحجاجية. .

☚ النظرية الكلاسيكية للحجاج البلاغي (أرسطو) :

يعد أرسطو فيلسوفا موسوعيا شاملا ؛ لأن فلسفته تنفتح على كل ضروب المعرفة والبحث العلمي، فهي تبحث في الطبيعة والميتافيزيقا والنفس وعلم الحياة والسياسة والشعر وفن الخطابة والمسرح. وقد وضع أرسطو المنطق الصوري الذي كان له تأثير كبير على كثير من الفلاسفة إلى أن حل محله المنطق الرمزي مع برتراند راسل ووايتهاد.

ويذهب أرسطو إلى أن العالم الحقيقي هو العالم الواقعي المادي، أما العالم المثالي فهو غير موجود. وأن الحقيقة لا توجد سوى في العالم الذي نعيش فيه خاصة في الجواهر التي تدرك عقلانيا. ولا توجد الحقيقة في الأعراض التي تتغير بتغير الأشكال. أي: إن الحقيقي هو الثابت المادي. أما غير الحقيقي، فهو المتغير المتبدل. ولقد أعطى أرسطو الأولوية لما هو واقعي ومادي على ما هو عقلي وفكري. ومن هنا، عد أرسطو فيلسوفا ماديا اكتشف العلل الأربع: العلة الفاعلة، والعلة الغائية، والعلة الصورية الشكلية، والعلة المادية. فإذا أخذنا الطاولة – مثالا- لهذه العلل الأربع، فالنجار يحيل على العلة الفاعلة والصانعة، أما الخشب فيشكل ماهية الطاولة وعلتها المادية، أما صورة الطاولة فهي العلة الصورية الشكلية. في حين، تظهر العلة الغائية في الهدف من استعمال الطاولة التي تسعفنا في الأكل والشرب .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويعد أرسطو كذلك من الفلاسفة اليونانيين الأوائل الذين نظروا للبلاغة من خلال رؤية حجاجية، فقد خصها بكتابين هامين هما (الريطوريقا/ البلاغة) و(الحجج المشتركة). وقد قسم أرسطو كتابه البلاغة إلى أقسام ثلاثة : القسم الأول يتعلق بمفهوم البلاغة وموضوعها ومنهاجها وعلاقتها بالجدل. في حين، يتناول القسم الثاني ما يتعلق بالتأثير على الآخر أو نفسيته. أما القسم الأخير من الكتاب، فيتناول صفات الأسلوب وآثاره الفنية والجمالية والحجاجية .[11] أي: يتناول المصنف اللوغوس (اللغة)، والإيتوس (الفضائل الأخلاقية)، والباتوس (الانفعالات والأهواء). وقد فضل أرسطو البلاغة على المنطق؛ لأن البلاغة أكثر فاعلية في المجتمع، وأداة ناجعة في تفعيل الجدل والخوض في المناقشات السياسية والفكرية. في حين، يبقى المنطق حبيس المعرفة العلمية بعيدا عن الحياة السياسية. وقد جعل أرسطو من البلاغة أداة تطبيقية تتخلل المنطق والسياسة والأخلاق. ومن ثم، فالبلاغة هدفها الإقناع والوصول إلى الحق والعدالة عبر الجدل والاستدلال البرهاني والمنطقي. كما تعتمد على التجارب المستمدة من الخارج (الشهود مثلا) أو من داخل البلاغة. وقد اهتم أرسطو بمواضيع الفلسفة كالحق والعدالة والقانون.

وعليه، فقد كانت البلاغة عند أرسطو خطابا حجاجيا يقوم على وظيفتي التأثير والإقناع ، ويتوجه إلى الجمهور السامع قصد توجيهه أو إقناعه إيجابا أو سلبا. وفي هذا النطاق، يقول أرسطو: " ويحصل الإقناع ، حين يهيأ المستمعون ويستمليهم القول الخطابي، حتى يشعروا بانفعال ما، لأننا لا نصدر الأحكام على نحو واحد

[11] – انظر: أرسطو: **فن الخطابة**، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 2008م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حسبما نحس باللذة أو الألم، والحب والكراهية... والخطاب هو الذي ينتج الإقناع حينما نستخرج الصحيح والراجح من كل موضوع يحتمل أن يقع فيه الإقناع.

ولما كانت الأدلة تختص بهذه الوسائل كان استعمالها يفترض أولا على وجه ظاهر، الاستعداد للاستدلال القياسي، والمعرفة النظرية بطبائع البشر، وثانيا معرفة الأخلاق والفضائل، وثالثا معرفة الانفعالات وذلك بأن نعرف طبيعة كل انفعال وأحواله وأسبابه، والهيئات الراسخة التي يحدث بها كل انفعال عند المستمعين، ويلزم عن ذلك أن البلاغة تكاد تكون فرعا من الجدل وعلم الأخلاق، ويصح أن تسمى السياسة. ولهذا السبب على وجه الضبط، تتخذ البلاغة المظهر السياسي والذين تستمليهم ممارستها، يروها كذلك ، تارة لضعف ثقافتهم، وتارة تدجيلا منهم وشعوذة؛ وتارة أخرى لأسباب إنسانية؛ وكأنها قسم للجدل ونظير له كما وصفنا هذا في مبدأ قولنا. إذ كل واحد منهما ليس هو علما له موضوعه المتمايز حتى تعرف خواص كل واحد منهما، وإذاً كلاهما ليسا إلا قدرات أو ملكات يقتدر بها على تقديم الحجج."[12]

وتأسيسا على ما سبق، يعد أرسطو المؤسس الحقيقي للبلاغة و منطق القيم. وقد سبق عصره بآرائه البلاغية الرائدة في مجال الحجاج والإقناع. ويعتبر أرسطو البلاغة فنا خطابيا بامتياز، إذ يستخدم أدوات حجاجية واستدلالية ومنطقية للتأثير في الآخر، وإقناعه ذهنيا ووجدانيا. و يبرز ذلك الحجاج عبر مجموعة من الوسائل الأدائية ، فإما أن يتحقق عبر اللوغوس الذي يعني الكلام والحجج والأدلة ، ويظهر ذلك جليا في نسق الرسالة التواصلية. وإما يتحقق عبر الإيتوس الذي يتمثل في مجموعة من القيم الأخلاقية والفضائل العليا التي ينبغي أن يتحلى بها الخطيب أو

---

[12] – أرسطو: **فن الخطابة**، ص:16.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البلاغي المرسل. وإما يتجسد في الباتوس الذي يتعلق بالمخاطب ، ويكون في شكل أهواء وانفعالات أو ما يسمى في الثقافة العربية بثنائية الترغيب والترهيب.

وقد ميز أرسطو كذلك بين ثلاثة خطابات بلاغية: أولا، خطاب قضائي يهدف القضاة من ورائه إلى معرفة الحقيقة بغية تحقيق العدالة. والآتي، أنهم يستعملون زمن الماضي والقياس المنطقي. وثانيا، الخطاب الاستشاري الذي يتخذ طابعا سياسيا، وهدفه تحقيق الخير للصالح العام، ويستخدم زمن الحاضر، ويستعين حجاجيا بالأمثلة. ثالثا، الخطاب البرهاني القائم على مدح الآخر أو ذمه ، والهدف منه تثبيت الجمال أو الدفاع عن فضيلة أو قيمة أخلاقية عليا ما. ويستعمل هذا الخطاب جميع الأزمنة بما فيها الحاضر والماضي والمستقبل، وكذلك أسلوب المبالغة والتضخيم.

☚ النظريـــة الجديدة في الحجاج البلاغي (الأرسطيون الجدد):

تأسست البلاغة الجديدة أو البلاغة الحجاجية منذ 1958م مع رجل القانون الشيكي شايم بيرلمان (Chaïm *Perelman*) و اللسانية البلجيكية لوسي أولبريخت تيتيكا (Lucie Olbrechts-Tyteca)[13] حين أصدرا معا كتابهما (الوجيز في الحجاج. البلاغة الجديدة)[14]. وقد تبلورت هذه البلاغة أيضا مع ستيفان

---

[13] - Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca **: Traité de l'argumentation : La nouvelle rhétorique**, Presses Universitaires de France, Paris, 1958.

[14] - Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca : **Traité de l'argumentation : La nouvelle rhétorique,** Bruxelles, Editions de l'Université de Bruxelles, 2009 .Et **Le Champ de l'argumentation**, Bruxelles, Editions de l'Université de Bruxelles, 1969.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تولمان (Stephen Toulmin) في كتابه (استعمالات الدليل أو الحجة)[15]، وشارل هامبلان (Charles Hamblin) في كتابه (الأوهام)[16]...

وعليه، فثمة نوعان من الحجاج: حجاج عاد عند البلاغيين الجدد، يستعمل آليات وتقنيات بلاغية ومنطقية.أي: مجمل الإستراتيجيات التي يستعملها المتكلم من أجل إقناع مخاطبه. وفي هذا المجال، لقد ارتبطت البلاغة الجديدة بالحجاج ارتباطا وثيقا ، فاستعملت تقنيات البلاغة في عملية الإفهام والإقناع، وقد اهتم بها كل من بيرلمان(Perelman) وتيتيكا(Tyteka) في كتابهما(**الوجيز في الحجاج: البلاغة الجديدة**). وقد ركز بيرلمان كثيرا على مبدأين رئيسين، وهما: القصد والمقام. ويمكن الاستفادة من هذا التصور الحجاجي التقليدي، حيث يساعدنا على" اكتساب خبرة منهاجية دقيقة في تحليل نصوص ذات طبيعة حجاجية قوية كالنصوص القضائية والسياسية والفلسفية ، بناء على تصور تفاعلي بين الذات المتكلمة والمخاطبين. وعلى الرغم من مميزات هذا التصور، فإنه يقصر الحجاج على بعض التقنيات والآليات البلاغية والمنطقية، وهو ما يدفعه إلى تقسيم الخطابات إلى خطابات حجاجية ذات طبيعة إقناعية، كالمناظرات والمجادلات الدينية والفلسفية والسياسية والقانونية، وأخرى غير حجاجية . بينما يتبنى التصور التقني للحجاج تقسيما آخر

---

[15] - S.TOULMIN **: TheUses of Argument** (Cambridge,Cambridge University Press, 1958),Trad., Les Usages de l'argumentation (Paris, PUF, 1992). Voir aussi la dernière version« Updated » en anglais de 2003.

[16]– C. L. HAMBLIN: **Fallacies** (London, Methuen, 1970), rééd. (Newport, VA, Vale Press, 1986).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تصير بمقتضاه كل الخطابات المختلفة التي تستعمل لسانا طبيعيا خطابات حجاجية بدرجات مختلفة."[17]

والغرض من الحجاج – كما هو معروف- هو الإقناع والتأثير والتداول والتواصل والتخاطب. ومن ثم، فالحجاج فعالية تداولية جدلية دينامنيكية فعالة ، تستلزم وجود أطراف تواصلية بينها قواسم حجاجية مشتركة، إذ يمتلك المرسل الخطيب مؤهلات معرفية وأخلاقية كفائية، ويستعمل في حجاجه اللوغوس الاستدلالي بغية إقناع الآخر، ولو باستعمال خطاب الأهواء والانفعالات. ولا يعتمد الحجاج عند بيرلمان على العنف أو التضليل أو التوهيم، بل غرضه هو بناء الحقيقة عن طريق الحوار البناء والاستدلال الذي قد يكون ذهنيا و هوويا انفعاليا.

هذا، و قد جدد بيرلمان وتيتيكا آراء أرسطو حينما حاولا أن يعيدا إليها طابعها الفلسفي الحقيقي؛ لأن البلاغة الأرسطية تحصر البلاغة في الإقناع، فتعدها خطابا حجاجيا بامتياز. وقد استبعدا تصورات أفلاطون والسوفسطائيين لأنها تقوم على الجدل، والسفسطة، والتشكيك ، والمنهج المغالطي، والمناورة الواهمة، واعتماد المثل العليا المطلقة. ويعني هذا أن البلاغة في طابعها العام مرتبطة بالمقصدية الحجاجية، وغالبا ما ترتبط الحجاجية بالسلطة والإيديولوجيا والامتيازات الاجتماعية . وأكثر من هذا، فقد ارتبطت البلاغة عند أرسطو بالحجاج والخطاب الإقناعي. وهذا الاقتران أو الترادف نجده أيضا لدى بيرلمان (Perelman) وألبريخت تيتيكا(Olbrechts-Tyteca) .

---

[17] – د.رضوان الرقيبي: (الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله)، **مجلة عالم الفكر**، الكويت، العدد2، المجلد 40، أكتوبر- ديسمبر 2011م، ص:85.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن هنا، فالمقصود بالبلاغة الجديدة تلك البلاغة الحجاجية التي تتعارض مع بلاغة الصور الفنية والمحسنات البديعية. ويمكن اعتبارها أيضا بلاغة أرسطية جديدة، مادام بيرلمان وتيتيكا قد اشتغلا على القضايا الحجاجية نفسها، ولكن في ضوء رؤية جديدة.

هذا، وقد ارتبطت أفكار بيرلمان بالقانون والفلسفة والحجاج والبلاغة، وانتشرت أفكاره الحجاجية في السبعينيات من القرن الماضي، وانتشرت في فرنسا في سنوات التسعين. وقد وضع بيرلمان لبنات الخطاب الجحاجي نظرية وتطبيقا، والهدف من نظريته هو محاولة فهم الكيفية التي يتم بها إصدار أحكام القيمة. ومن ثم، فالحجاج ودوره البلاغي هو أساس نظريته الجديدة. كما تتأسس نظريته على قراءة النصوص قراءة بلاغية على أساس الحوار لا على أساس الظن والتخمين والوهم. وقد انتعشت نظريته في الجامعة الحرة ببروكسيل أو في مدرسة بروكسيل مع لوسي تتيكا، وأيضا مع الفيلسوف ميشيل مايير(Michel Meyer) الذي يعرف الحجاج بأنه تفاوض بين شركاء الحوار أو التواصل عن مسافة.

هذا، وتنبني النظرية الحجاجية عند بيرلمان على دراسة آليات الخطاب الاجتماعي العام، ورصد فعاليته السياسية والاقتصادية والإعلانية ، والتركيز على الجدل القانوني (القضائي) أو الفلسفي على سبيل التمثيل، ومعالجة الأسئلة التطبيقية ، سواء أكان ذلك في القانون أم الفلسفة أم السياسة، وهي أسئلة تتعلق بحياة الإنسان وأفعاله. ومن ثم، تحاول البلاغة تقديم برهنة عقلية لحل تلك الأسئلة من خلال تمثل المنهجية الحجاجية الأرسطية في مناقشة الأسئلة التطبيقية التي تطرح مجموعة من الأجوبة التي تستلزم اتخاذ قرار في حقها باختيار أحسن جواب. ولقد أصبحت البلاغة مع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأرسطيين الجدد أداة إجرائية مهمة في حقل الفلسفة، بعد أن كانت مقصية ومهمشة ومرفوضة في هذا المضمار المعرفي.

ومن هنا، فمهمة النظرية عند بيرلمان هو استعراض الأطروحات المتناقضة والمتعارضة ذهنيا، واستجلاء منطلقاتها المنطقية والاستدلالية لمعرفة طابعها الإقناعي. أي: اختيار الحجج المقنعة والمناسبة في موقف معين. وقد حاول بيرلمان قراءة مجموعة من النصوص السياسية والفلسفية والأدبية والقضائية بحثا عن الإقناعي والحجاجي وآليات الحجاج وتمظهرات الخطاب الحجاجي.أي: البحث عن مختلف الوسائل الحجاجية التي تتضمنها النصوص المتنوعة في علاقتها ببنياتها الخطابية.

كما حاول بيرلمان مع فلاسفة القانون تجديد الخطاب القضائي في ضوء رؤية بلاغية حجاجية جديدة. وإذا كانت البلاغة القديمة قد انصبت على دراسة مرافعات المحامين حجاجيا، فإن بيرلمان قد ركز على خطاب القضاة الذين يكونون أمام مجموعة من الآراء المتناقضة والمتعارضة من ناحية، وأمام مجموعة من الاقتراحات والحلول الممكنة من ناحية أخرى. ومن ثم، فالقضاء أو القانون هو في الحقيقة حل للصراعات الجدلية المتناقضة. وبهذا، يربط بيرلمان القانون والخطاب القضائي بالبلاغة الحجاجية في مختلف درجاتها الاستدلالية.

ومن أهم أفكار بيرلمان أنه يعتبر الإقناع الوظيفة الأساسية للبلاغة وليس التأثير. وفي هذا السياق، يقول بيرلمان " نقصد بالحجاج المؤثر ذلك المتوجه إلى مستمع خاص، وبالإقناعي المصوب نحو كائن عاقل. فالفرق دقيق، ورهين بمفهوم الخطيب للعقل أساسا" .[18]

[18] - Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca : op.cit, p: 36.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن أفكاره الأخرى أن الصور البلاغية ليست صورا فنية وجمالية وتزيينية وظيفتها الإمتاع فقط كما هو السائد في البلاغة التقليدية، بل هي من طبيعة حجاجية وإقناعية بامتياز. ويترتب على هذا أن الاستعارة حجاجية وإقناعية ليس إلا. وفي هذا الإطار، يقول بيرلمان:" تعتبر الصورة حجاجية ذات منظور مغاير؛ إذا بدا استعمالها مألوفا بالنسبة لوضعها الجديد المفترض.أما إذا لم يهدف الخطاب إلى استجلاب موافقة المستمع لهذه الصيغة الحجاجية، فإن الصورة ستصبح محسنا بديعيا ، لا تعدو أن تغدو مبعث إعجاب أو مصدر استحسان الخطيب" .[19]

وأكثر من هذا، فقد تصبح الصور البلاغية والمحسنات البديعية من التقنيات الحجاجية التي تستخدم في الخطاب الحجاجي لإقناع الغير أو لاستجلاب موافقته ورضاه.

هذا، ويعد الحجاج عملية تفاعلية تقوم على مجموعة من العناصر هي: المرسل والرسالة والسامع. و يعد الغير السامع أهم من المتكلم الخطيب؛ لأن الهدف من الرسالة التواصلية هو إقناع الآخر ومحاججته برهانيا وعقلانيا عبر مجموعة من المسارات الحجاجية للوصول إلى الحقيقة والحل الراجح، واستكشاف ردود فعل المخاطب تجاه الحجاج . فليس المهم – هنا- هو الخطيب أو المرسل كما في البلاغة التقليدية، بل هو المستمع أو المخاطب ؛ " لأن الأهم في الحجاج ليس ما يعتبره الخطيب حقيقيا ومقنعا، وإن العبرة بالتقويم الصادر عن مخاطبيه"[20].

ويعرف بيرلمان السامع المخاطب بـ **أذه**" المجموع الذي يحاول الخطيب التأثير فيه عبر حجاجه"[21]. ويعني هذا أن الغرض من توظيف اللوغوس الحجاجي هو إقناع الغير أو دفعه للتسليم أو الرضى عن الحجة. وفي هذا الإطار، يقول بيرلمان:" نتكلم بقصد

---

[19]- Ibid,p:229.

[20] - Ibid, P: 31.

[21] - Ibid, P: 25.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دفع المخاطب إلى القيام بمناورات أو تمثلات مختلفة متعلقة بموضوع معين، لكسب أو مضاعفة تعاطف المستمع بشأن الأطروحات المقترحة للحصول على موافقته"[22].

وبناء على ما سبق، قد يكون هذا الغير المخاطب فردا أو جماعة، حاضرا أو غائبا، افتراضيا أو محددا، وقد يكون المتلقي شخصا معينا في الواقع، أو سامعا كونيا مجردا عن الزمان والمكان حسب ثقافة كل عصر على حدة." إن للتصورات التي يتبناها الناس عبر التاريخ عن بعض الأحداث الموضوعية أو الحقائق الجلية تغيرت بما لم يعد من داع لاتخاذ الحذر حيالها، فبدل الاعتقاد بوجود مجتمع كوني، نظير الروح المقدسة التي لا يمكن أن تقبل إلا بالحقيقة. .يمكن ، بالأحرى، تمييز كل خطيب عبر الصورة التي يكونها عن المستمع الكوني...إن لكل ثقافة ، وشخص، منظور خاص للمستمع الكوني، ودراسة تغير هذه المنظورات تفيد في تبيان ما اعتبره الناس عبر التاريخ واقعيا وحقيقيا وراجحا".[23]

بيد أن هذا السامع الكوني المجرد العام لا يكون بهذه الصفة المطلقة إلا في الأدب والترجمة والفلسفة. أما واقعيا وميدانيا، فنحن لا نتعامل إلا مع مستمع حقيقي عاد، سواء أكان حاضرا أم غائبا.

فضلا عن ذلك، لابد حجاجيا من مراعاة المقام أو مقتضى الحال، لأن لكل مقام مقالا، ولابد من تكييف الخطاب مع مقامات المخاطبين، والإحاطة بمجموع المعارف الخاصة بموضوع المحاجة المتعاقد عليها ضمنيا أو ما يسمى بقاعدة الحجج المشتركة التي تجمع المرسل الخطيب والسامع المفترض، مع تغيير موجهات الخطاب

---

[22]- Ibid, P:5.

[23] -Ibid, P:43.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحجاجي بتغير أنماط مخاطبيه[24]. وهنا، لابد من الإشارة إلى أن الخطيب مرتبط بالإيتوس الذي يمتلك الكفاءة المعرفية، ويتصف بالفضائل والقيم الأخلاقية النبيلة، ويستعمل اللوغوس اللغوي في رسالته التواصلية في شكل موجهات وتقنيات حجاجية إقناعية. أما السامع فيرتبط بالباتوس أو بثنائية الترغيب والترهيب أو بعالم الأهواء والانفعالات. ويعني كل هذا أن الخطاب الحجاجي يثير المستمع بتوظيف الباتوس أو الأهواء ، مع مراعاة الحس المشترك أو القيم الثقافية المشتركة .

ولا يمكن الحديث بحال من الأحوال عن الحجاج إلا حينما نكون أمام تعارض الأطروحات الذهنية ، كأن نجد أنفسنا- مثلا- أمام أطروحة ونقيضها، سيما إذا شككنا في صحتها ووجاهتها، فنلتجئ آنئذ إما إلى التثبيت وإما إلى التفنيد. "

والنص حجاجي من وجهة نظر البلاغة الجديدة حين يحمل بذرة خلاف، تتضمن قصدا تأثيريا، مضمرا أو معلنا، بنية تحويل أو تعديل وجهة تفكير المخاطب أو حمله على مزيد من موافقة داخل مسار تواصلي غير إلزامي."[25]

ومن آليات المسار الحجاجي: تقديم الدعوى، ومعارضة الدعوى، والجدل، والقياس، والافتراض، والاستقراء، والاستنباط، والاستنتاج، والتسليم، والتصديق، والتفنيد، والتثبيت، وإزالة التناقض، والإسقاط في الخطأ ، ووجود المفارقة واللاانسجام، وإنزال الكلام منزلة تحصيل الحاصل ...وقد يتتبع المحاجج مساره الإقناعي معتمدا فيه على اللوغوس الاستدلالي والمنطقي، أو يستند إلى الخطاب القيمي وأمهات الفضائل، أو يوظف معجما هوويا وانفعاليا.

---

[24] – أمينة الدهري: **الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة**، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2010م، ص:139.

[25] – أمينة الدهري: **الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة**، ص:143.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهنا، يجب التنبيه إلى أن النظريات التقليدية كانت عقلانية وموضوعية على مستوى الحجاج، ولم تول الذات اهتمامها، ولم تعن بخطاب الأهواء. لذا، " خصت النظريات الحجاجية المعاصرة، تدريجيا، الجانب الانفعالي من التفاعل الحجاجي بدراسات تعيد الاعتبار لإجرائيته في العملية الحجاجية، بعدما كانت تعتبر الاستدلال العقلي وحده الكفيل بالتأثير على المستمع، لأنه يفيض عن تأمل وتفكر في القضية المختلف حولها ، ويبرر المواقف المتخذة بما لايدع مجالا للارتياب في صحتها. وهو ما لاتفي به – في نظرها- الأهواء، باعتبارها استدلالات زائفة منحدرة من الانفعال ومتوجهة إليه، بفعل إثارتها لأحاسيس قد تحرف مسار الحقيقة المبحوث عنها . وقد عرف هذا المنظور منعطفا وتحولا، يستدرك عدم نفي الاستدلالين العقلي والانفعالي لبعضهما البعض، لاسيما إذا تم ربط هذا الأخير بشرطي نوع الخطاب ومقصد الكاتب."[26]

وفي الأخير، خلف بيرلمان مجموعة من التلاميذ والأتباع ، مثل: بيلمان بينوا فريدمان (Benoît Frydman)، ومارك أنجنو(Marc Angenot)، وكريستيان بلانتان(Christian Plantin) ، وهنريش لوسبيرغ(Heinrich Lausberg)...

☚ نظريـــة الحجـــاج اللغـــوي:

تهدف نظرية الحجاج اللغوي أو اللساني (l'argumentation dans la langue) التي وضعها كل من أنسكومبر (ANSCOMBRE J.C) و

[26] – أمينة الدهري: نفسه، ص:74.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أزوالد ديكرو(O.Ducrot)[27] إلى دراسة الجوانب الحجاجية في اللغة ووصفها انطلاقا من فرضية محورية ألا وهي " أننا نتكلم عامة بقصد التأثير".أي: تحمل اللغة في طياتها بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية تتجلى في بنية الأقوال ذاتها، صوتيا، وصرفيا، وتركيبيا، ودلاليا.ومن ثم، " تنتمي دراسة الحجاج إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة.أي: القواعد الداخلية للخطاب، والمتحكمة في تسلسل الأقوال وتتابعها بشكل متنام وتدريجي. وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب."[28]

وعليه، تندرج نظرية الحجاج اللغوي ضمن النظريات الدلالية الحديثة التي تقدم تصورات جديدة حول المعنى، وتقترح مقترحات جادة حول كثير من القضايا والظواهر اللغوية، وتتجاوز مجموعة من المشاكل المنطقية الكلاسيكية خاصة المشاكل المرتبطة بالدور التفسيري لمفهوم الصدق(vérité)[29]. وينضاف إلى ذلك، أن وظيفة اللغة الأساسية ليست هي الوظيفة التواصلية الإخبارية، بل هي الوظيفة الحجاجية. ويعني هذا أن الوظيفة التواصلية وظيفة ثانوية ليس إلا.

هذا، وتتعارض النظرية الحجاجية اللغوية مع مجموعة من النظريات الحجاجية الكلاسيكية مثل التي تنتمي إلى البلاغة الكلاسيكية كما عند أرسطو، أو التي تنتمي إلى البلاغة الحديثة كما عند بيرلمان(Perlman)، وأولبريخت تيتيكا (Tytecaa)، وميشيل مايير(Michel Meyer)..، أو التي تنتمي إلى المنطق الطبيعي كما عند جان بليز غرايس...

---

[27] -ANSCOMBRE J.C., DUCROT. O : **L'argumentation dans la langue**, Bruxelles, Mardaga, 1983.

[28]- د.أبوبكر العزاوي: **اللغة والحجاج**، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 2006م، ص:8.

[29]- د.أبوبكر العزاوي: **اللغة والحجاج**،ص:8-9.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن ثم، تنطلق هذه النظرية من تصورات أزوالد ديكرو ، كما بينها بشكل جلي في نظريته الحجاجية سنة 1973م. والآتي، أنها نظرية لسانية تعنى بالوسائل اللغوية الحجاجية التي تتضمنها اللغات الطبيعية، مع دراسة الأهداف الحجاجية ، ورصد تأثيرها التداولي على المستمع. ويعني هذا أن الأقوال اللغوية تحمل في جوهرها مؤشرات لسانية ذاتية تدل على طابعها الحجاجي، دون أن يكون ذلك متعلقا بالسياق التداولي الخارجي. وإذا قلنا: المغاربة أفارقة، زيد مغربي، إذاً، زيد أفريقي، فهذا برهان أو قياس منطقي حتمي وضروري.أما إذا قلنا: انخفضت درجة البرودة، إذاً، سيمرض زيد. فهذا حجاج أو استدلال طبيعي غير برهاني يحمل استنتاجا احتماليا.ويعني هذا أن اللغة الإنسانية لغة حجاجية ومنطقية من داخل بنيتها اللغوية الداخلية. وقد استفاد دوكرو من نظرية أفعال الكلام كما عند سورل وأوستين وغرايس. وأضاف دوكرو فعلين: فعل الاقتضاء، وفعل الحجاج. وينضاف إلى هذا، أن الحجاج يتميز عن البرهان أو الاستدلال المنطقي بكونه يتأسس على بنية الأقوال اللغوية و تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب.

وإليكم هذه الأمثلة:

✦ **" أنت مرهق، إذا، فأنت في حاجة إلى الراحة".**

تتضمن هذه الجملة دلالات حجاجية، فهناك الحجة أو الدليل(**أنت مرهق**)، والنتيجة (**أنت في حاجة إلى الراحة**). و الدليل على الطبيعة الحجاجية لهذه الجملة هو وجود الرابط الحجاجي: (**إذاً**). وقد يكون هذا الرابط مضمرا، وتكون النتيجة أيضا مضمرة بدورها كما في هذه الجملة:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

✦" أنت مرهق . أنت في حاجة إلى الراحة".

وهكذا، يتبين لنا بأن الحجج اللغوية سياقية تتحدد حجيتها بالسياق اللغوي، فقد تكون العبارة الواحدة إما حجة وإما نتيجة. ومن جهة ثانية، تكون الحجج اللغوية نسبية مادامت هناك حجج مضادة محتملة من المستمع. وهنا، يمكن القول بأن هناك حججا قوية، وحججا ضعيفة، وحججا أوهى، وحججا أضعف...كما تكون هذه الحجج قابلة للإبطال. ويعني هذا أن الحجاج اللغوي" نسبي ومرن وتدريجي وسياقي بخلاف البرهان المنطقي والرياضي الذي هو مطلق وحتمي".[30]

وتسمى العلاقة التي تجمع بين الحجة والنتيجة العلاقة الحجاجية، وهي تختلف جذريا عن الاستلزام أو الاستنتاج المنطقي. ويمكن الحديث أيضا عن السلم الحجاجي الذي يتكون من فئة حجاجية موجهة، ويتكون من مجموعة من الدرجات في القوة والضعف.

وللتمثيل، نقول:

1- حصل علي على دكتوراه الدولة

2- حصل علي على الإجازة.

3- حصل علي على البكالوريا.

يلاحظ أن هذه الجمل الحجاجية تنتمي إلى الفئة الحجاجية نفسها، وإلى السلم الحجاجي نفسه، وتؤشر على نتيجة مضمرة ، تتمثل في كفاءة علي، وتثبيت مكانته العلمية المتميزة. بيد أن الدليل القوي على مكانته العلمية وكفاءته المعرفية يدل عليه الدليل القوي ألا وهو الحصول على الدكتوراه. ومن ثم، ينبني السلم الحجاجي على قوانين ثلاثة: قانون النفي (ليس علي مجتهدا، إنه لم ينجح في الامتحان)، وقانون

[30]- د.أبوبكر العزاوي: نفسه،ص:20.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القلب(لم يحصل علي على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير)، وقانون الخفض أو الدونية مثل: (الجو ليس باردا، لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل).

وهناك مفهوم آخر مرتبط بالسلم الحجاجي" هو مفهوم الوجهية أو الاتجاه الحجاجي(L'orientation argumentative). ويعني هذا المفهوم أنه إذا كان قول ما يمكن إنشاء فعل حجاجي، فإن القيمة الحجاجية لهذا القول يتم تحديدها بواسطة الاتجاه الحجاجي، وهذا الأخير قد يكون صريحا أو مضمرا، فإذا كان القول أو الخطاب معلما (marqué).أي: مشتملا على بعض الروابط والعوامل الحجاجية، فإن هذه الأدوات والروابط تكون متضمنة لمجموعة من الإشارات والتعليمات التي تتعلق بالطريقة التي يتم بها توجيه القول أو الخطاب.أما في حالة كون القول غير معلم، فإن التعليمات المحددة للاتجاه الحجاجي تستنتج إذاك من الألفاظ والمفردات ، بالإضافة إلى السياق التداولي والخطابي العام"[31].

علاوة على ذلك، تشتمل اللغة العربية على مجموعة من الروابط الحجاجية، مثل: لكن، وبل، وإذاً، وإذن، وحتى، وكي، ولام التعليل، ولاسيما، وإذ، ولأن، وبما أن، ومع ذلك، وربما، وتقريبا، وإنما، وما....إلا، وإنما، وبيد أن...وتستتبع هذه الروابط علاقات حجاجية قائمة على الحجج والنتائج، وقد تكون هذه الروابط صريحة أو مضمرة حسب السياق التداولي. ومن ثم، يتحدث ديكرو (O.Ducrot) وأنسكومبر (J.C.Anscombre)عن التداوليات المندمجة (La pragmatique intégrée) التي تقرن الحجة بالنتيجة بواسطة الروابط الحجاجية. وهذا ما دفع ديكرو للتفكير في وضع مقاربة حجاجية لسانية تهدف إلى وصف هذه الروابط اللغوية في سياقها التداولي بعيدا عن وصفها النحوي التقليدي.

---

[31]- د.أبوبكر العزاوي: نفسه، ص:25.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما ينبغي التمييز – حسب دوكرو- بين الروابط الحجاجية (les connecteurs) والعوامل الحجاجية (les opérateurs)، فالروابط الحجاجية هي التي تربط بين قولين أو بين حجتين على الأصح أو أكثر، وتسند لكل قول دورا حجاجيا محددا حسب السياق التداولي. ومن بين هذه الروابط: بل، لكن، حتى، لاسيما، إذن، بما أن، إذ...إلخ. أما العوامل الحجاجية، فهي لا تربط بين حجة وأخرى، بل تقوم بدور حصر الإمكانات الحجاجية وتقييدها داخل ملفوظ حجاجي معين. ومن أدواته " ربما، وتقريبا، وكاد، وقليلا، وكثيرا، وما...إلا، وجل أدوات الحصر والقصر[32].

وعلى العموم، فثمة أنماط عدة من الحجج، مثل: الروابط المدرجة للحجج (حتى، وبل، ولكن، وع ذلك، ولأن...)، والروابط المدرجة للنتائج، مثل: (إذن، إذاً، وبالتالي...)، والروابط التي تدرج حججا قوية (حتى، بل، لكن، لاسيما..)، والروابط التي تدرج حججا ضعيفة، وروابط التعارض الحجاجي، مثل: (بل، ولكن، ومع ذلك...)، وروابط التساوق الحجاجي، مثل، (حتى، ولاسيما..).

أما المبادىء الحجاجية، فهي بمثابة ضمان للروابط الحجاجية، وتقابل ما يسمى بمسلمات الاستنتاج المنطقي في المنطق الصوري والرياضي، ولها خصائص ومميزات وقواعد ومبادئ عدة، منها: أنها مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية معينة. كما تتصف بالعمومية.أي: تصلح لعدد كبير من السياقات المختلفة والمتنوعة، وتتميز بالتدرج من خلال الانتقال من الحجة إلى النتيجة، والعكس صحيح أيضا، ومبدأ النسبية.أي : قابلية الحجة المعروضة للتفنيد

[32] -O. Ducrot :(notes sur l'argumentation et l'acte d'argumenter), **Cahiers de linguistique française**, Genève, no : 4,1982 ; (opérateurs argumentatifs et visée argumentative), **Cahiers de linguistique française**, Genève, no : 5,1983.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والنفي والإبطال بحجة مضادة قوية ، أو تكون الحجة الواردة في الملفوظ قابلة لنفيها، كأن نقول: اجتهد، إذن تنجح، وربما قد تؤدي الحجة إلى نقيضها ألا وهو الفشل. وللتمثيل: (سينجح زيد لأنه مجتهد)، وتترجم المبدأ الحجاجي لهذه الجملة بالشكل التالي: كلما كان زيد مجتهدا، كان يستحق النجاح، أو يؤدي الاجتهاد إلى النجاح، أو تكون فرص نجاح زيد بقدر عمله واجتهاده.وفي هذا الصدد، يقول أبو بكر العزاوي:" المبادئ الحجاجية هي مجموعة من المسلمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية وبشرية معينة، والكل يسلم بصدقها وصحتها، فالكل يعتقد أن العمل يؤدي إلى النجاح، وأن التعب يستدعي الراحة، وأن الصدق والكرم والشجاعة من القيم النبيلة والمحببة لدى الجميع التي تجعل المتصف بها في أعلى المراتب الاجتماعية، والكل يقبل أيضا أن انخفاض ميزان الحرارة يجعل سقوط المطر محتملا، وبعض هذه المبادئ يرتبط بمجال القيم والأخلاق، وبعضها الآخر يرتبط بالطبيعة ومعرفة العالم.

وإذا كانت المبادئ الحجاجية ترتبط بالإيديولوجيات الجماعية، فإنه من الممكن أن ينطلق استدلالان من المقدمات نفسها، ويعتمدا الروابط والعوامل نفسها، ومع ذلك يصلان إلى نتائج مختلفة، بل متضادة. ولم يفسر هذا إلا باعتماد مبادئ حجاجية تنتمي إلى إيديولوجيات متعارضة، لكن إلى جانب هذه المبادئ المحلية(Topoi locaux) المرتبطة بإيدولوجيات الأفراد داخل المجموعة البشرية الواحدة، هناك مبادئ أخرى أعم، وهي مشتركة بين جميع المجموعة اللغوية، ومؤشر لها داخل اللغة."[33]

[33]- د. أبو بكر العزاوي: نفسه، ص:33.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن المعلوم أن هناك أنواعا عدة من المعاني، سواء أكان المعنى ظاهرا أم باطنا. ومن أنواع المعنى الظاهري: المعنى الحرفي، والمعنى القضوي، والمعنى البنيوي، والمعنى المعجمي، والمعنى الإخباري الإعلامي....ومن أنواع المعنى الباطني: الاقتصاء، والاستلزام الدلالي، والتضمين، والاستلزام الحواري، والقيمة الحجاجية أو المعنى الحجاجي. وإذا كان العديد من اللغويين والفلاسفة والمناطقة منذ أفلاطون إلى اللسانيات الحديثة يرون أن وظيفة اللغة إخبارية وصفية تصف العالم وتمثله. بمعنى أن اللغة لها وظيفة وصفية تمثيلية، فإن النظرية الحجاجية اللسانية ترى بأن اللغة وظيفتها الأساسية حجاجية ليس إلا، أما باقي الوظائف الأخرى كالوظيفة التواصلية فهي ثانوية. ومن ثم، تربط النظرية الحجاجية القول بالوظيفة أو المقصدية أو المقام السياقي التداولي. ومن ثم، لا يعتمد تسلسل الأقوال والجمل في الخطاب المعنى الإخباري أو المحتوى الإعلامي، وإنما يعتمد بالأساس على المعنى الحجاجي أو القيمة الحجاجية للقول. ومن هنا، فما يهم النظرية الحجاجية هو دراسة كيفية اشتغال الأقوال داخل خطاب ما.أي: رصد تسلسلها وتواليها داخل الخطاب بصورة استنتاجية .أي: تدرس منطق الخطاب تواليا وتدرجا. ويعني هذا ربط القول دائما بمقصديته التداولية والسياقية والمقامية. فجملة: (السماء صافية) ليس فيها إخبار تواصلي، بل هناك وظيفة تداولية تتمثل في: لنخرج في نزهة، هناك معنى حجاجي.

وتحوي اللغة العربية مجموعة من الروابط الدالة على الحجاج والإبطال، مثل: بل ولكن، وحتى... ومن جهة أخرى، تعد الاستعارة أقوى الأقوال حجاجية من الأقوال العادية كما يرى ميشيل لوغيرن في مقاله (الاستعارة والحجاج)، ومن ثم، فالاستعارة " من الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية، بل إنها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جدا، مادمنا نسلم بفرضية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الطابع المجازي للغة الطبيعية، ومادمنا نعتبر الاستعارة إحدى الخصائص الجوهرية للسان البشري."[34]

وإذا كانت الأقوال العادية تقبل الإبطال أو التعارض الحجاجي ، مثل: (الجو جميل لكنني متعب/ لن أقوم بنزهة)، فإن الأقوال الاستعارية لا تقبل هذا التعارض الحجاجي، ويأبى " أن يجيء بعده رابط من روابط التعارض الحجاجي مثل لكن وبل .أي: إنه لا يقبل أن يرد في سياق الإبطال أو التعارض الحجاجي.

وهذا ما يفسره لحن الجمل الآتية:

- ★ زيد أسد لكنه مشهور.
- ★ خالد بحر لكنه مسرف."[35]

وتتميز الاستعارة الحجاجية برغبة المتكلم في إيصال فكرة ما إلى المستمع تأثيرا أو إقناعا. أما الاستعارة البديعية أو الجمالية، فلا يقصد بها الحجاج أو الإقناع ، بل هي وسيلة لغوية جمالية تراد لذاتها ليس إلا. وترد الاستعارة الحجاجية في الكتابات السياسية والصحفية والعلمية والأدبية، وهي مرتبطة بمقاصد المتكلمين وسياقاتهم التخاطبية والتواصلية.

وعليه، فلقد اهتم دوكرو منذ 2004 م باللسانيات الحجاجية باعتبارها اتساقا بين الجمل والملفوظات. وقد أشار إلى مجموعة من أنواع الحجاج كحجاج الوصل، وحجاج الفصل، وحجاج التناقض، وحجاج الشرط، وحجاج التقييد، وحجاج التضمن، وحجاج التعارض، وحجاج الاستنتاج، وحجاج السبب، وحجاج

---

[34]- أبو بكر العزاوي: نفسه، ص:105.

[35]- أبو بكر العزاوي: نفسه ، ص:107.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الهدف... ويعني هذا أن الجملة حجاجية بطبيعتها وفطريتها تحمل في طياتها آثارا حجاجية واستدلالية.

وتعتمد منهجية دوكرو على وصف الشواهد اللغوية أو النصية في ضوء رؤية لغوية حجاجية تركيبا ودلالة وتداولا ، من خلال التركيز على مجموعة من المفاهيم الإجرائية ، مثل: الروابط الحجاجية، والعوامل الحجاجية، والمبادئ والعلاقات الحجاجية، والسلم الحجاجي، و الأدلة الممكنة والمحتملة، والإبطال، والدليل الأقوى، والسياق، والمقصدية، ومراتب السلم الحجاجية، والنتائج، والقوة الحجاجية، والاستعارة الحجاجية التي تشير إلى أن الأقوال الاستعارية أعلى حجاجية من الأقوال العادية.

☚ نظرية الحجاج الخطابي:

لقد ارتبطت نظرية الحجاج الخطابي أو الخطاب الحجاجي أو الحجاج في الخطاب بمجموعة من المنظرين والدارسين الحجاجيين، لاسيما المنظرة الإسرائيلية روث أموسي (Ruth Amossy) كما في مجموعة من كتبها خاصة (الحجاج في الخطاب)[36] ، وميشيل مايير (Michem Mayer)، وفايركلوث (Fairclough)، وموشلر(Moeschler) ، ودومينيك مانكونو(Maingueneau) ...

---

[36] - Amossy, Ruth : **L'argumentation dans le discours** ,Paris, Colin,2006 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويهدف هذا الخطاب إلى استعراض الآليات التي يشتغل بها الحجاج في خطاب ما، سواء أكان هذا الخطاب سياسيا أم فلسفيا أم إشهاريا أم أدبيا أم قضائيا... ويعني هذا أن الهدف من هذا الخطاب هو استجلاء مختلف الأدوات والروابط والإستراتيجيات التي ينبني عليها الخطاب الحجاجي في إيصال رسائل المتكلم إلى السامع للتأثير عليه أو إقناعه سلبا أو إيجابا.

ومن المعروف أن ثمة مجموعة من الأقوال والنصوص الأدبية والخطابية المختلفة التي تحمل في طياتها مقصدية حجاجية هدفها إقناع الغير والتأثير عليه. وفي الوقت نفسه، هناك نصوص وخطابات لا تهدف إلى الحجاج إطلاقا. وعلى الرغم من ذلك، يمكن استجلاء البعد الحجاجي في هذه النصوص إما بطريقة مباشرة وإما بطريقة غير مباشرة. وفي هذا الصدد، يقول بنيفنست (Benveniste) معرفا الخطاب :" يستلزم كل تلفظ وجود متكلم وسامع، فيحاول المتلفظ أن يؤثر على الآخر بشكل من الأشكال".[37]

ويعني هذا أن الخطاب دائما عبارة عن عملية تفاعلية وتواصلية وتداولية تحضر فيها أطراف ثلاثة: المرسل والمرسل إليه والرسالة. ومن ثم، يعبر المرسل عن مجموعة من النوايا والرغبات والمقصديات المباشرة وغير المباشرة لإيصالها إلى السامع المفترض. ومن ثم، فالكلام يعني تبادل الإرساليات، وكل قول هو فعل خاصة إذا كانت الإرساليات عبارة عن جمل إنشائية وحوارات استلزامية أو أفعال كلامية، كما نجد ذلك في الحوارات العادية أو غير العادية (النصوص المسرحية والحوارات السينمائية

[37]- Benveniste, Emile : **Problèmes de linguistique générale**, t. 2 Paris : Gallimard, 1974, p : 241.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمناظرات). والآتي، أن كيربرات أوريكشيوني (Kerbrat-Orecchioni) ترى أن الكلام يعني التبادل، والتبادل يعني تغير الحوارات.[38]

ومن زاوية أخرى، يرى شارودو (Charaudeau) أن الخطاب الحجاجي يقوم على ثلاثة مبادئ رئيسية: مبدأ الغيرية حيث وجود المتكلم المتلفظ والمخاطب السامع، ومبدأ التأثير حينما يقترن الملفوظ بوظيفة التأثير على الغير، ومبدأ السيطرة الذي يقوم به المتكلم حينما يمتلك سلطة اللغة والحقيقة؛ لأن اللغة – حسب رولان بارت– سلطة ومصدرها السلطة. فالذي يمتلك زمام اللغة يمتلك سلطة التصرف والأمر والنهي والتوجيه عن طريق التأثير والإقناع[39].

وهل يعني هذا أن جميع النصوص والخطابات حجاجية بالضرورة؟ لقد أثبت أرسطو في كتابه (البلاغة) أن الحجاج لا يتحقق بشكل جلي إلا في بعض الأجناس، مثل: الخطاب القضائي، والخطاب الاستشاري، والخطاب البرهاني. بيد أن بيرلمان(Perelman) قد وسع إمبراطورية الحجاج لتشمل مجموعة من الخطابات، مثل: الخطاب الفلسفي والأدبي والاجتماعي والأخلاقي والاقتصادي وغيرها من الخطابات التي تتضمن حجاج الأطروحات ووجهات النظر المختلفة.

ويرى أوليرون (Oléron) أن مسعى الخطاب الحجاجي هو أن يجعل المرسل، سواء أكان فردا أم جماعة، السامع أو مجموعة من السامعين يتقبلون وضعية ما عبر

---

[38]- Kerbrat-Orecchioni, Catherin : **Les interactions verbales**, t. I, Paris : Colin1990.P : 54-55.

[39]– Charaudeau, Patrick. : **Le discours politique. Les masques du pouvoir** .Paris : Vuibert.2005, P : 12.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مجموعة من الحجج والأدلة التي يتم من خلالها إظهار الحقيقة أو تثبيت رأي أو تبيانها أو تفنيدها.[40]

ويرى بريتون (Breton) أن الحجاج ينتمي إلى عائلة الأفعال الإنسانية التي هدفها الإقناع، ومن خصوصياتها التسلح ببرهنة عقلية حجاجية ضمن سياق تواصلي ما.[41]

ويذهب الهولندي فان إمرين(van Eemeren) وجماعة أمستردام التي بلورت التداولية الجدلية إلى أن الحجاج يتحدد باعتبارها فعالية لفظية واجتماعية للعقل، هدفها تثبيت وضعية حجاجية لدى الغير في وضعية جدالية ما بالزيادة فيها أو النقص منها ، باستخدام مسار حجاجي يقوم على التوضيح والتصديق والتفنيد والتعارض في ضوء حكم عقلاني[42].

وبالنسبة لغرايس (Grize) يرى أن المحاجج يحول الغير إلى موضوع للتطويع والتحفيز عبر تبادل الآراء إقناعا وتأثيرا، من خلال تعديل آرائه ومواقفه ووجهات نظره، أو تثبيت بعض آرائه، أو تعتيم الأخرى، أو اقتراح أشياء أخرى.[43]

---

[40] -Oléron, Pierre : **L'argumentation** , Paris, PUF,1987,p :4.

[41]-Breton, Philippe : **L'argumentation dans la communication**, Paris : La Découverte,1996.P :3.

[42]- Van Eemeren, Frans H., Grootendorst, Rob and Snoek Hoekemans, Francesca. : **Fundamentals of Argumentation Theory**. NJ / London, Erlbaum, 1996, p: 53.

[43]- Grize, Jean-Blaize **: Logique et langage**, Paris, Ophrys, 1990, p : 41.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد وسعت روث أموسي (Ruth Amossy) مفهوم الحجاج ليكون تعريفه واسعا ، فهي ترى بأنه بمثابة محاولة حجاجية جادة لتغيير رؤى العالم عند الغير أو التأثير عليه أو تقوية هذه الرؤى عن طريق وسائل اللغة[44].

وقد توسع تعريف الحجاج أيضا مع بيرلمان الذي يرى أن الحجاج بمثابة محاولة لتقييد السامع بأطروحة معينة، والتركيز على طريقة التفكير والرؤية والإحساس؛ مما يجعل هذا التعريف الموسع أقرب إلى فن البلاغة المرتبط بفن التأثير والإقناع. فيشمل هذا الحجاج جميع الخطابات التي يحضر فيها الغير الخاص أو العام واقعا أو افتراضا ، وبالضبط في خطابات كل من: علم اللغة، وعلم النفس، وعلم النفس الاجتماعي كما يقول شارودو.

ولا يمكن الحديث عن الحجاج إلا إذا وجد الجدال والاختلاف ووجهات النظر المختلفة ، وتبين أن هناك – فعلا- تناقضا في الأطروحات الجدلية، وتعارضا في الأفكار بين مؤيد ومفند. ويرى أرسطو أننا لا نتحاجج حول الأفكار العقلية والمنطقية البديهية والقطعية والصادقة والواضحة، بل نتحاجج حول قضايا ظنية وخلافية .

ويرى ميشيل مايير(Michel Meyer) بأن الحجاج يعمل على إيجاد وحدة للجواب، وإرضاء المتلقي بحال من الأحوال، وإقناع السامع بجواب منطقي شاف،

[44]-Amossy, Ruth : **L'argumentation dans le discours**, Paris, Colin ,2006

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خاصة حين تتعدد الأسئلة ، وتختلف وجهات النظر. فهنا، لابد من اختيار جواب مقنع يرتضي به السامع[45].

و يرى كريستيان بلانتان(Christian Plantin) أن الأجوبة البديلة المقترحة لمجموعة من الآراء المتناقضة والمختلفة لابد أن تكون واضحة ومقنعة ضمن سياق حجاجي جدلي معقول ومنطقي. ويعني هذا أن السياق الحجاجي المثالي هو الذي يحدد الجواب الصائب من الخاطئ.[46] علاوة على ذلك، يطرح الحجاج الجدلي مجموعة من الأسئلة التي تستوجب حلولا يقتنع بها المستمع العادي أو المفترض، وهذا ما يقوم به الحجاج عبر الوسائل اللغوية والفكرية والشعورية. ومن ثم، فالأجوبة داخل السياق الحجاجي تهدف إما إلى التثبيت وإما إلى التفنيد وإما إلى التعديل والتغيير.

ويتحدث باختين وفولوشينوف (Bakhtine-Volochinov) عن بوليفونية جدلية وحجاجية أو المبدأ الحواري القائم على تعدد الأصوات واختلافها وتعدد الأجوبة. كما أن كل تلفظ هو في الحقيقة جواب عن سؤال ما، سواء أكان قولا أو كتابة[47]. و يقصد بالبوليفونية (Poliphonie/poliphony) لغة تعدد الأصوات. وقد أخذ هذا المصطلح من عالم الموسيقى، ليتم نقله إلى حقل الأدب والنقد. ومن ثم، فالمقصود بالرواية البوليفونية – مثلا– تلك الرواية التي تتعدد فيها

---

[45]- Meyer, Michel : **Qu'est-ce que l'argumentation ?** Paris, Vrin, 2005, p : 15.

[46]- Plantin, Christian : **L'argumentation**, Paris, PUF, « Que sais-je? », 2005, p : 53.

[47]-Bakhtine, Mikhail (Volochinov) : **Le marxisme et la philosophie du langage, Paris**, Minuit, 1977, p : 105.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشخصيات المتحاورة، وتتعدد فيها وجهات النظر، وتختلف فيها الرؤى الإيديولوجية. بمعنى أنها رواية حوارية تعددية، تنحى المنحى الديمقراطي، حيث تتحرر بشكل من الأشكال من سلطة الراوي المطلق، وتتخلص أيضا من أحادية المنظور واللغة والأسلوب. وبتعبير آخر، يتم الحديث في هذه الرواية المتعددة الأصوات والمنظورات عن حرية البطل النسبية ، واستقلالية الشخصية في التعبير عن مواقفها بكل حرية وصراحة، ولو كانت هذه المواقف مخالفة لرأي الكاتب.

وتميز أموسي (Amossy) بين الهدف الحجاجي والبعد الحجاجي، فالأول عبارة عن مؤسسة إقناعية مبرمجة هدفها التأثير على الغير وإقناعه كما في الإشهار والخطاب الانتخابي، إذ يعد جذب السامع مهما جدا.أما البعد الحجاجي فيتمثل في توجيه طريقة النظر إلى الغير.[48]

ويعتمد الهدف الحجاجي على مجموعة من الوسائط والوسائل الحجاجية، مثل: الاستعراض البرهاني، وتقديم الأطروحة، وإيجاد الأجوبة، وتمثل الجدل في الحوار والاختلاف، والاعتماد على مسارات حجاجية منطقية ومعقولة لإقناع الغير والتأثير عليه ذهنيا ووجدانيا ولغويا. ويعني هذا تقديم مقاييس حجاجية، مثل: مقياس الجدل الجدل، ومقياس التعارض، ومقياس الاختلاف، ومقياس البرهنة والاستدلال...

ويستند البعد الحجاجي إلى تغيير أفكار الغير، وإعداده لتقبل ما سيقال له عن طريق مجموعة من الخطابات التي لا يظهر فيها الحجاج مباشرة كما في النصوص التي تعتمد التخييل كالأدب والفن مثلا.

وهكذا، يتبين لنا بأن الحجاج حاضر في جميع الخطابات إما بطريقة مباشرة (الإشهار- الانتخابات- السياسة...) ، وإما بطريقة غير مباشرة كالفلسفة والأدب

[48]-Amossy, Ruth : **L'argumentation dans le discours**,p :32-34.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والفن. وقد يظهر هذا الحجاج ماديا عبر الوسائل اللغوية، وقد يكون معنويا عبر الأفكار والمشاعر ووجود سياق حجاجي معين.

هذا، ويحضر الحجاج كذلك في عملية تجنيس الخطابات، حيث يرتبط الحجاج بوظيفة جنس ما كمعرفة وظائف الخطاب الإشهاري أو الخطاب السياسي، أو معرفة خصائص الرسائل الدبلوماسية، أو تبيان مميزات الخطاب الشفوي... والهدف من هذا كله هو معرفة علاقة المتكلم بالغير، و رصد طبيعة العلاقة الحجاجية التواصلية والأهداف المرجوة. ولكل خطاب أو جنس ما خصائصه الحجاجية إن نظرية وإن تطبيقا.

وعليه، تتميز نظرية الخطاب الحجاجي بشكل من الأشكال عن نظرية الحجاج اللغوي عند أنسكومبر ودوكرو، فالأولى تعنى باستخراج الحجاج داخل النص أو الخطاب. في حين، تهتم الثانية بدراسة البنية الحجاجية في الجمل والملفوظات اللغوية واللسانية وصفا وتفسيرا.

☚ نظرية الحجـــاج المنطقي الطبيعي:

إذا كان المنطق الصوري منطقا رياضيا قائما على البرهنة والاستدلال والانطلاق من الفرضيات والبرهنة على صحتها ، وليس من الضروري أن يكون هذا المنطق الرياضي منطقا حجاجيا إقناعيا، فإن المنطق الطبيعي هو منطق لغوي يستعمل خطابا لفظيا تبادليا بين متكلم مرسل يمتلك سلطة اللغة أو اللوغوس، وسامع طبيعي يوجد في زمان ومكان، ويحمل ثقافة معينة، وليس هذا المخاطب سامعا كونيا كما يقول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شاييم بيرلمان(CH.Perleman). ومن ثم، يمتلك كل خطاب له لغة طبيعية بعدا حجاجيا مادام مرتبطا بالسياق الخارجي (الأطراف التواصلية- الزمان- المكان- الثقافة). ويعني هذا أن المرسل يقدم إلى المخاطب صورة لفظية حجاجية في شكل خطاطة مرسلة بلغة طبيعية، وهذه الخطاطة الحجاجية هي نتاج سلوك اجتماعي، و جزء من سيرورة التواصل، ويحوي ملفوظات الذات الدالة على المتكلم سياقيا. والآتي، أنها ليست ذا طبيعة رسمية أو شكلية مادامت هناك ذات متلفظة حاضرة.

ولا تستعمل الخطاطات الحجاجية كيفما يشاء الباحث ، بل هي نتيجة مجموعة من العمليات المنطقية الخطابية. فهي من جهة منطقية لأنها عمليات صادرة عن بنية الفكر. ومن جهة ثانية، فهي خطابية؛ لأنها ترتبط بالخطاب ذي اللغة الطبيعية.ومن هنا، فالنظرية المنطقية الطبيعية في مجال الحجاج هي نظرية العمليات المنطقية الخطابية التي تولد لنا مجمل الخطاطات الحجاجية. ومن ثم، يتضمن الخطاب الذي يعتمد على اللغة الطبيعية مجموعة من العمليات الذهنية والمعرفية التي يمكن أن يبنيها المتكلم للسامع في شكل خطاطات تمثلية منظمة ليقوم بإعادة بنائها.

هذا، وتنبني خطاطة التواصل عند غرايس على المرسل الذي يرسل خطاطة في شكل تمثلات واقعية ومعرفية وذهنية إلى السامع الذي بدوره يعيد بناءها من جديد. وتتمثل الرسالة في تبادل التمثلات المشتركة بينهما ، سواء أكانت ثقافية أم اجتماعية أم لغوية أم معرفية.. ولا يمكن بناء الخطاطة الحجاجية إلا في سياق زماني ومكاني أو ثقافي من أجل توجيهها إلى الغير السامع. وهذا ما يعطي للخطاطة بعدا حجاجيا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بامتياز. إذاً، فالخطاطة عبارة عن صورة سيميائية تتعلق بالموضوع والمرسل والمخاطب على حد سواء.[49].

وخير من يمثل هذه النظرية هو جان بليز غرايس(GRIZE, Jean-Blaise)[50]، وهدفها تقديم نظرية حجاجية في ضوء المنطق الطبيعي. وبتعبير آخر، الغرض هو دراسة نظرية ومعرفية للعلاقة الموجودة بين المنطق الطبيعي والحجاج، علاوة على استكشاف عمليات البناء الحجاجي . ومن المعروف أن الحجاج له وظيفتان بارزتان: التأثير والإقناع، فالتأثير مرتبط بالعاطفة والوجدان، و يرتبط الإقناع بالعقل والمنطق. لذا، فنظرية غريس تهتم بالإقناع العقلي الذي يترابط مع المنطق الطبيعي. ومن هنا، فلابد أن يتحول المحاجج إلى مخرج مسرحي لإقناع السامع السياقي عبر وضع خطة حجاجية مرسومة بشكل لائق. وتنبني الخطاطة الحجاجية (schématisation) على وجود مواضيع مشتركة وقواسم معرفية بين أطراف الحجاج، وهذه الخطاطة هي أساس منطق الخطاب. ويعني هذا أن المنطق الطبيعي للحجاج يهتم بدراسة المضامين، وتبيان العمليات التي ينبني عليها الخطاب منطقيا.

ويرى إميليو غاطيكو(Emilio Gattico) بأن الخطاطة الحجاجية تحقق أنواعا ثلاثة من الانسجام: انسجام داخلي يقوم على النماذج والأنظمة الصورية ، والانسجام الخارجي الذي يتعلق بالقواسم المشتركة بين أطراف التواصل في سياق معين، والانسجام الخطابي الذي يتعلق بمجموعة من التمثلات العقلية والوجدانية التي

---

[49] – Jean-Blaise Grize **:(**LOGIQUE NATURELLE ET REPRÉSENTATIONS SOCIALES,) **Papers on Social Representations - Textes sur les Représentations Sociales,**
(1021-5573) Vol. 2 (3), 1-159 (1993).

[50]- Jean-Blaise Grize: **De la loqique à l'argumentation**, librairie Genève et Paris Droz, 1982,266Pages.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تكون بين أطراف التواصل.[51] ومن ثم، يعنى المنطق الصوري الشكلي بالانسجام الداخلي، ويهتم المنطق الطبيعي باستكشاف السياق التواصلي الخارجي، وينبغي بذل الكثير لاحتواء الانسجام الخطابي[52].

وعليه، فالمنطق الطبيعي عند بليز غرايس هو " نسق من العمليات الذهنية التي تمكن فاعلا- متكلما، يوجد في سياق ما، من اقتراح تمثيلاته على مستمع ما، بواسطة الخطاب" .

ويتسم هذا المنطق بكونه منطقا للذوات المتكلمة (logique de sujets)، و منطقا للموضوعات(objets logique des) . وبعبارة أخرى، يتمثل هذا المنطق في مجموعة من العمليات المنطقية الخطابية التي تمكننا من توليد الخطاطات والتمثيلات وإنتاجها[53].

☚ نظرية الحجاج التداولي:

لقد ربط الاتجاه التداولي الحجاج بنظرية أفعال الكلام والاستلزام الحواري،فالنص الأدبي ليس مجرد خطاب لتبادل الأخبار والأقوال والأحاديث، بل يهدف إلى تغيير وضع المتلقي عبر مجموعة من الأقوال والأفعال الإنجازية ، وتغيير نظام معتقداته، أو

---

[51] - GATTICO, Emilio : (Schématisation et logique naturelle). **Relations formelles et non formelles**. Université de Neuchâtel, Travaux du Centre de Recherches Sémiologiques, 1993, n° 61, p. 97-137.

[52] - GRIZE, Jean-Blaise : (L'argumentation : explication ou séduction), **L'argumentation**. Presses Universitaires de Lyon, 1981, p. 29-40.

[53] – انظر: أبو بكر العزاوي: (من المنطق على الحجاج)، حاوره: حافيظ إسماعيلي علوي، **مجلة فكر ونقد**، المغرب، العدد 61، سبتمبر 2004م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تغيير موقفه السلوكي من خلال ثنائية: افعل ولا تفعل[54]. ويعني هذا أن الخطاب أو النص الأدبي، في مفهوم التداوليات التحليلية التي ظهرت في سنوات الخمسين من القرن العشرين مع أوستين، كما في كتابه(**نظرية أفعال الكلام**)(1962م)[55]، وسورل في كتابه(**أفعال اللغة**) (1969م)[56]،عبارة عن أفعال كلامية تتجاوز الأقوال والملفوظات إلى الفعل الإنجازي والتأثير الذي يتركه ذلك الإنجاز. ومن هنا، فنظرية الأفعال الكلامية تنبني على ثلاثة عناصر رئيسة، وهي: أولا، فعل القول ويراد به إطلاق ألفاظ في جمل مفيدة سليمة التركيب، وذات دلالة، تحمل في طياتها حمولات قضوية وإخبارية. وبالتالي، تشتمل على مستوى صوتي وتركيبي ودلالي، مثل: "**أشكرك ياعلي**". وثانيا، الفعل المتضمن في القول، وهو الفعل الإنجازي الذي يحدد الغرض المقصود بالقول، كصيغة الأمر في هذه الجملة:" **انتظري اللحن الجديد**". وثالثا، الفعل الناتج عن القول، وهو ما ينتج عن القول من آثار لدى المخاطب إثر فعل القول، كإقناع المخاطب، وحثه، وإرشاده، وتوجيهه، أو تضليله...وتحضر هذه المستويات الثلاثة للفعل الكلامي جميعها في الوقت ذاته، و بدرجة متفاوتة، وهي التي تجعل هذا الفعل الكلامي كاملا.

وعلاوة على ذلك، يميز أوستين بين الجمل الخبرية والجمل الإنجازية، وتتنوع هذه الأقوال الإنجازية إلى أقوال ظاهرة وأقوال مضمرة. فالأقوال الإنجازية قد تكون لها قوة حرفية ، مثل: الاستفهام، والتمني، والأمر... وقد تكون لها قوة إنجازية حوارية وسياقية، مثل: الالتماس، والإرشاد، والتهديد، والتحسر، ...

---

[54] - Catherine kerbrat-Orrecchioni: **Ennonciation de la subjectivité dans le langage**, Paris, Armond Colin, 1980, p:181.

[55] - J.L.Austin:**Quand dire, c'est faire**, Editions du seuil, Paris, 1970.

[56] - John R.Searle: **les actes de langage**, Collection, savoir Herman, Paris, 1972.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويعني هذا كله أن الفعل الكلامي ينقسم إلى ثلاثة أنواع: فعل القول، والفعل المتضمن في القول، والفعل الناتج عن القول، وقد لا يدل الفعل المتضمن في القول على دلالته المباشرة، بل يفيد معنى إنجازيا آخر غير مباشر يحدده سياق القول. بتعبير آخر، للجملة الواحدة ثلاثة مستويات: محتواها القضوي وهو مجموع معاني مفرداتها، والقوة الإنجازية الحرفية وهي قوة مدركة مقاليا، والقوة الإنجازية المستلزمة وهي التي تدرك مقاميا. ويعني هذا أن أوستين يربط الأقوال بالأفعال، والمقال بالمقام. فأن نقول كلاما، يعني أننا ننجز فعلا. ومن هنا، فنظرية الأفعال الكلامية تنبني على فعل القول (قول شيء ما) الذي يتخذ مظهرا صوتيا وتركيبيا ودلاليا، والفعل المتضمن في القول (إنجاز فعل معين ضمن قول ما)، وقد يكون فعلا مباشرا أو غير مباشر، والفعل الناتج عن القول(الآثار المترتبة عن قول شيء ما). ويتميز الفعل الكلامي بالمطابقة مع الواقع والسياق، والتعبير عن حالة نفسية، والقدرة على الإنجاز، واختلافه باختلاف مترلة المتكلم من المتلقي، والاختلاف في أسلوب الإنجاز، واختلاف القوة الإنجازية...[57]

ويمكن تقسيم أفعال الكلام حسب ما يقصد بها من أغراض إنجازية إلى:

1- **التقريريات**: وتفيد تأكيد المتكلم وإقراره لبعض الوقائع والأحداث في الواقع الخارجي، مثل: " إنني كاتب وناقد وفيلسوف".

2- **الطلبيات أو الأمريات**: وتحضر في توجيه المتكلم طلبا للمخاطب لإنجاز فعل ما، مثل: "هل سيسافر أحمد غدا؟"، و" اخرجوا كلكم من مدرج الكلية".

---

[57] – راجع: جون أوستين: **نظرية أفعال الكلام العام**، ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2006م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

3- **البوحيات أو الإفصاحيات:** تعبر عن الحالة النفسية للمتكلم، مثل:" أحب أن أراك سعيدا"، و" مللت الانتظار".

4- **الوعديات:** تفيد التزام المتكلم بإنجاز فعل في الزمان المستقبل، مثل:" أعدك بسفر رائع إلى مصر".

5- **التصريحات:** ويقصد بها إعلان المتكلم عن إنجاز فعل يفيد تغييرا مرتقبا على مستوى العالم الخارجي، مثل:" أعلن أيها الحضور الكريم عن برنامجي الانتخابي قريبا".

وعليه، يعمد الناقد في المقاربة التداولية حين التعامل مع النص الأدبي إلى استخلاص الأفعال الكلامية أو الجمل الإنشائية أو الخبرية، وتصنيفها إلى الأفعال القضوية، والأفعال الإنجازية الخبرية، والأفعال السياقية، وتصنيف الجمل الأدبية حسب سياقها ومقامها الوظيفي والتداولي والمقصدي.

ومن جهة أخرى، ترى المقاربة التداولية والوظيفية بأن النص أو الخطاب الأدبي استلزام حواري وإنجازي. وهنا، نتحدث بطبيعة الحال عن الدلالات الصريحة والضمنية. فالاستلزام الحواري يتعلق بالدلالات البلاغية الضمنية التي يستلزمها السياق الكلامي. ومن ثم، يرتبط الاستلزام الحواري بنظرية الأفعال كما هي عند أوستين وسورل. أي: ينتقل الكلام من نطاق حرفي وقضوي مباشر إلى معنى حواري استلزامي غير مباشر، ويتحكم فيه المقام أو السياق التداولي. وللتوضيح أكثر: قد تكون معاني العبارات اللغوية صريحة، وقد تكون ضمنية. فالمعاني الصريحة هي التي تحمل محتوى قضويا، وتتوفر على القوة الإنجازية الحرفية. فهذا معنى مباشر صريح. أما المعنى الضمني فينقسم بدوره إلى قسمين: معنى عرفي يتعلق بالاقتضاء (الإحالة)، والاستلزام المنطقي(الدلالة المنطقية)، ومعنى حواري ينقسم كذلك إلى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

معنى خاص(الاستلزام الحواري)، ومعنى معمم. وينتج عن كل هذا وجود أنماط من الأفعال حسب أوستين، وهي: فعل التلفظ، والفعل القضوي، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري. ويشمل فعل التلفظ الفعل الصوتي والفعل التركيبي.أما الفعل القضوي، فيتفرع إلى الفعل الإحالي والفعل الحملي. أما الفعلان الإنجازي والتأثيري، فلا يختلفان في مقترح سيرل عنهما في مقترح أوستين كبير اختلاف. وقد اقترح سيرل كذلك أفعالا أخرى انطلاقا من نظرية الأفعال اللغوية، وصنفها في خمسة: الأفعال الحكمية(تمثل الواقع صدقا أو كذبا)، والأفعال الأمرية، والأفعال الالتزامية، والأفعال التعبيرية، والأفعال الإنجازية. بيد أن سورل يركز فقط على فعلين رئيسين، وهما:الفعل القضوي ، والفعل الإنجازي.

وبناء على ما سبق، يرى كرايس أن جمل اللغة الطبيعية قد لاتدل على معانيها القضوية المباشرة والحرفية، بل تخرج إلى دلالات سياقية إنجازية. لذا، صاغ قانون التعاون بمبادئه الأربعة: مبدأ الكم، ومبدأ الكيف، ومبدأ التعبير، ومبدأ المناسبة. ومن ثم، يسمي كرايس هذا النوع من الجمل الإنجازية التي تحمل معاني سياقية ضمنية بالاستلزام الحواري. ويتحقق هذا الاستلزام حينما تخرق إحدى القواعد الأربع ، مع احترام مبدإ التعاون. ويدرج كرايس هذا النوع من الدلالة في تصنيف عام للمعاني التي يمكن أن تدل عليها العبارات اللغوية. ويشرح الباحث اللغوي المغربي أحمد المتوكل ما قلناه سابقا بقوله:" تنقسم الحمولة الدلالية للعبارة اللغوية إلى معان صريحة ومعان ضمنية، وتعد معاني صريحة المعاني المدلول عليها بصفة الجملة ذاتها . في حين، تعد ضمنية المعاني التي لا تدل عليها بصيغة الجملة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تشمل حمولة المعاني الصريحة: (أ) المحتوى القضوي (معاني مفردات الجملة مضموما بعضها إلى بعض)، و(ب) القوة الإنجازية الحرفية (القوة الإنجازية المشار لها بصيغة الجملة كالاستفهام والأمر والإخبار...).

2- المعاني الضمنية صنفان: معان عرفية ومعان حوارية (أو سياقية).

تعد معاني عرفية المعاني المرتبطة بالجملة ارتباطا يجعلها لا تتغير بتغير السياقات. في حين، تعد معاني حوارية المعاني التي تتولد طبقا للسياقات أو المقامات التي تنجز فيها الجملة. من المعاني المتضمنة عرفا المعنى المقتضى أو الاقتضاء، والمعنى المستلزم منطقيا أو الاستلزام المنطقي.

أما المعاني الضمنية المتولدة عن السياق، فهي نوعان: المعاني الناتجة عن سياق خاص والمعاني البالغة من العموم أنها لم تعد مرتبطة بسياق خاص أو بطبقة معينة من السياقات. يصطلح كرايس على تسمية هذين النوعين من المعاني الضمنية " الاستلزامات الحوارية الخاصة" و"الاستلزامات الحوارية المعممة" على التوالي."[58]

وإذا أخذنا على سبيل المثال جملة: " هل تعيرني القلم الأحمر؟"، فالمعنى القضوي يتمثل في جمع الكلمات والمورفيمات التالية: هل-تعير- ني- القلم الأحمر. أما القوة الإنجازية الحرفية فتتمثل في الاستفهام والأداة "هل" والتنغيم. وإذا جمعنا القضوية مع الإنجاز الحرفي، فيتشكل لدينا المعنى الصريح من الجملة أو العبارة.

أما المعنى الضمني في الجملة، فيتألف من معنيين عرفيين، وهما: الاقتضاء (اقتضاء وجود قلم أحمر)، والاستلزام المنطقي(كون القلم ذا لون)، ومعنى حواري خاص أو

---

[58] - د. أحمد المتوكل: **اللسانيات الوظيفية**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 2010م، ص:28.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

استلزام حواري خاص، وهو معنى الالتماس. أي: التماس المتكلم من المخاطب أن يعيره القلم الأحمر.[59]

ويمكن التمثيل للاستلزام الحواري المعمم بالجملتين المنفيتين التاليتين:

1- ألم أعطك كل ماعندي؟

2- أما بلغت مرادك؟

فهاتان الجملتان، وكل الجمل التي هي من هذا النوع، تفيدان في جميع السياقات معنى الإثبات.[60]

ونلاحظ من كل هذا أن ظاهرة الاستلزام الحواري، كما طرحها كرايس، قد درست في إطار البلاغة الجديدة ونظرية الأفعال اللغوية، بمعنى أن"ظاهرة الاستلزام الحواري درست، بعد كرايس، في إطار نظرية الأفعال اللغوية على أساس أنها ظاهرة تعدد الأفعال اللغوية بالنسبة للمحتوى القضوي الواحد. يصنف سيرل الجمل، من حيث عدد الأفعال اللغوية المواكبة لها،صنفين:جملا يواكبها فعل لغوي واحد، وجملا يواكبها أكثر من فعل لغوي واحد(فعلان لغويان في أغلب الحالات). في حالة مواكبة فعلين لغويين اثنين للجملة الواحدة، يميز سيرل بين الفعل اللغوي المباشر والفعل اللغوي غير المباشر،بين الفعل اللغوي الحرفي المدلول عليه بصيغة الجملة ذاتها والفعل اللغوي المفاد من المقام."[61]

---

[59] - د. أحمد المتوكل: نفسه، ص:29-30.

[60] - د. أحمد المتوكل: نفسه، ص:29-30.

[61] - د. أحمد المتوكل: نفسه، ص:30.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وللتمثيل، نختار المثال التالي:

س: **لترر سمير في حديقته هذا اليوم.**

ج: علي أن أحضر درس الامتحان

يتحقق في هذا المثال فعلان لغويان: فعل لغوي مباشر هو إعداد الدرس استعدادا للامتحان، وفعل لغوي غير مباشر هو رفض الدعوة.

هذا من جهة، ويرى أحمد المتوكل من جهة أخرى بأن فلاسفة اللغة العادية لم يهتموا بجوانب أخرى من" تداوليات اللغات الطبيعية كالجوانب المرتبطة بالبنية الإخبارية للجملة عنايتهم بالإحالة والاقتضاء والأفعال اللغوية والاستلزام الحواري. هذه الجوانب المغفلة في الدرس الفلسفي هي أنواع العلاقات الإخبارية القائمة بين مكونات الجملة. فبالإضافة إلى العلاقات الدلالية (الأدوار الدلالية) كالمنفذ والمتقبل والمستقبل والأداة، والعلاقات التركيبية كالفاعل والمفعول، تقوم بين مكونات الجملة علاقات تداولية كالمبتدأ والذيل والمنادى والمحور والبؤرة والمعطى والجديد وغيرها."[62]

هذا، وإذا انتقلنا إلى النص الأدبي لتحليله تداوليا، فنقوم بتصنيف العبارات اللغوية ، سيما البلاغية منها خبرا كانت أم إنشاء، إلى عبارات صريحة المعنى، فنحدد أفعالها القضوية، ثم تبيان قوتها الإنجازية الحرفية. وبعد ذلك، ننتقل إلى استكشاف المعاني الضمنية ، سواء أكانت اقتضائية إحالية أم عرفية أم منطقية. ومن ثم، ننتقل إلى الاستلزام الحواري باستكشاف المعاني الإنجازية السياقية والمقامية، سواء الخاصة منها أم العامة. ويمكن الاستعانة بالمفاهيم التي تنبني عليها التداوليات الوظيفية لاستخلاص المعاني الاستلزامية السياقية والمقامية، من خلال التركيز على الأدوار التركيبية النحوية

[62] – أحمد المتوكل: نفسه، ص:32.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

، والأدوار الدلالية، والأدوار التداولية. فضلا عن ذلك، يمكن تصنيف أفعال النص الأدبي إلى أفعال تلفظية، وأفعال قضوية، وأفعال اقتضائية، وأفعال عرفية، وأفعال إنجازية حرفية، وأفعال إنجازية سياقية، إلخ...

☚ منـــهجية تحليـــل النـــص الحجاجي:

تهدف المقاربة الحجاجية إلى تحليل النصوص أو الخطابات التي تتضمن أبعادا حجاجية مباشرة أو غير مباشرة. لذا، على الباحث أن يحلل النص بنية ودلالة ووظيفة، ويستخرج المقاييس الحجاجية وخطاطاتها المبنية ذهنيا من قبل المتكلم والمخاطب على حد سواء، وتجريد التمثلات المشتركة بين الأطراف المتحاورة، وتصنيف المقاييس والمقولات الحجاجية، ووصفها وتفسيرها لغويا وبلاغيا وتداوليا وجدليا وخطابيا. بمعنى أنه لابد من الاستعانة بمجموعة من النظريات المتكاملة في مقاربة الخطابات ذات البعد الحجاجي.

وقد يعتمد التحليل الحجاجي على مفاهيم أرسطو مثل: القياس والمماثلة والاستدلال المنطقي. وهناك من يقترح نماذج الخطة الحجاجية لتولمين (Toulmin)[63]. وهناك من يتبنى نظرية أنسكومبر ودوكرو في رصد الظواهر اللغوية التي تحمل في طياتها ملامح حجاجية قائمة على التعارض أو السبب أو الاستنتاج أو الهدف أو التقابل أو الافتراض... وهناك من يوسع البحث الحجاجي ليبحث في تصنيفات أخرى كالاعتماد على المنطق الصوري لرصد أخطاء الفكر وأوهامه وتناقضاته، أو الاعتماد على المنطق الطبيعي لرصد مختلف التمثلات المعرفية والاجتماعية التي تجمع بين طرفي

[63] – Toulmin, S. E. : **Les usages de l'argumentation**, Paris, PUF, 1993.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التواصل في سياق زماني ومكاني وثقافي معين بالتركيز على بنية الخطاطات الحجاجية.

وينضاف إلى هذا أن الحجاج عبارة عن ملفوظات واقتراحات متسلسلة بشكل منطقي وواضح لابد من تجريدها، والبحث عن مظاهرها الحجاجية، واستجلاء طريقة بنائها وانتظامها داخل مسار حجاجي معين، وداخل سياق استدلالي محدد. و الغرض من هذا كله هو معرفة كيفية اشتغال مؤسسة الحجاج ضمن سياق تواصلي معين من المجرد إلى المحسوس.

ولابد للمحلل من التركيز على اللغة الطبيعية أو اللوغوس؛ لأن الحجاج النصي أو اللغوي يبنى عبر مجموعة من الروابط والمؤشرات التلفظية والوسائل المنطقية ، فلابد من استخلاص هذه القرائن اللغوية وتصنيفها، ومعرفة دلالاتها ووظائفها وبناتها. ولابد من استحضار شبكة التواصل التي تجمع بين الأطراف المتحاورة.أي: ضرورة تحديد الوسائل اللسانية والإستراتيجيات الخطابية التي تهدف إلى تثبيت مؤسسة الحجاج وتقويتها. وهنا، لابد من الاستعانة بنظرية سياق التلفظ كما عند بنيفنست (Benveniste) بتحديد المتلفظ وطبيعته وسياق تواجده، وكذلك خصائص المتلفظ إليه، وتبيان الإرسالية وسياقها الزماني والمكاني والدلالي. والهدف من هذا كله هو استجلاء البعد المؤسساتي والاجتماعي عبر عملية التواصل الواقعية أو الافتراضية. ويعني هذا ترابط الحجاج بالواقع . وهذا ما قام به- فعلا - مانكونو (Maingueneau) حينما ربط اللغوي بالمؤسساتي أو ربط المؤسسة الحجاجية بواقعها السياقي. وهنا، ينبغي التركيز على اللوغوس، والسياق التواصلي، والبعد المؤسساتي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعليه، تنبني منهجية الحجاج على تحديد السياق التواصلي والإطار الاجتماعي التاريخي، وتبيان مقاييس الحجاج، واستكشاف الأدوات اللغوية الحجاجية كالصور البلاغية والأساليب(الحوار ، والسرد، والمنولوج، والأسلوب المباشر، والأسلوب غير المباشر، والأسلوب غير المباشر الحر) ، وتبيان البوليفونية وتعدد الأصوات على المستوى الدلالي واللغوي، وتحديد وجهات النظر والإيديولوجيا، ودراسة المضمر والمحذوف، وتبيان طريقة بناء النص خطابيا، واستكشاف روابط الحجاج وقرائن الاستدلال، والإشارة إلى حضور الغير السامع الواقعي أو الافتراضي، سواء أكان النص مكتوبا أم شفويا. ويعني هذا كله التركيز على ثلاثة مرتكزات حجاجية متكاملة: اللوغوس(تقنيات اللغة الحجاجية)، والإيتوس (الصورة الأخلاقية الفضلى للمتكلم وكفاءته معرفيا وقيميا)، والباتوس (الترغيب والترهيب) .

وبناء على ماسبق، يمكن حصر الخطوات المنهجية التي تستند إليها المقاربة الحجاجية في التعامل مع النصوص والخطابات كيفما كان نوعها فيما يلي:

❶ دراسة الحجاج في لغته الطبيعية وفي ماديته الخطابية ضمن خطاب وظيفي كلي.

❷ ربط الحجاج بسياقه التواصلي باستحضار أطراف التواصل والموضوع والزمان والمكان والثقافة والتمثلات المشتركة.

❸ رصد آليات الحجاج وخطاطاته، وتبيان طبيعتها وطريقة اشتغالها داخل الخطاب قبل الكلام وبعده، حين طرح الدعوى والدعوى المضادة، ومحاورتها حجاجيا في لحظات: التشكيك والتفنيد والتعديل والتصحيح والتأييد والتثبيت...

❹ استجلاء اللوغوس والإيتوس والباتوس .

هذا، وتوظف المقاربة الحجاجية في يومنا هذا في تحليل مجموعة من الخطابات ، مثل: الخطابات اللسانية واللغوية، والخطاب الأدبي، والخطاب الفني، والخطاب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفلسفي، والخطاب العلمي، والخطاب الإعلامي، والخطاب التاريخي، والخطاب السياسي.... ولقد أصبحت المقاربة الحجاجية أداة ناجعة لمقاربة جميع النصوص والخطابات في حقول معرفية مختلفة. وليس من الضروري أن تجيب عن أسئلة لغوية ولسانية محضة، بل يمكن أن تجيب عن أسئلة إعلامية أو أدبية أو تاريخية أو أنتروبولوجية...ويعني هذا أن الأسئلة والأجوبة تختلف باختلاف النصوص والخطابات.

خاتمـــة:

وهكذا، نصل إلى أن الحجاج سمة بارزة في الملفوظات اللغوية والنصوص والخطابات، سواء أكانت مكتوبة أم شفوية ، بطريقة واضحة أو مضمرة . ويكون الحجاج واضحا في الخطابين: الإشهاري والسياسي، ويختفي بشكل من الأشكال وراء أقنعة تخييلية ورمزية وجمالية في الأدب والفن.

علاوة على ذلك، يهدف الحجاج إلى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية هي: التأثير، والإقناع، والحوار. ولا يمكن الحديث عن الحجاج إلا إذا استحضرنا مجموعة من العناصر البارزة، مثل: طرفي التواصل الأساسيين: المتكلم والسامع، والنوايا والمقاصد، والموضوع والقواسم المشتركة والتمثلات المتشابهة، سواء أكانت تلك التمثلات ثقافية أم لغوية أم اجتماعية، بله عن السياق التلفظي بما فيه الزمان والمكان والثقافة.

هذا، ويمكن الحديث عن مجموعة من النظريات الحجاجية قديما وحديثا، منها: نظرية الجدل كما نتبينها بوضوح في الثقافة اليونانية عند زينون الإيلي وسقراط والسوفسطائيين وأفلاطون، ونلاحظها أيضا في الفكر الإسلامي في العصر الوسيط

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مع علماء الكلام والنحو وأصول الفقه، وقد تعمق فيها مؤخرا ممثلو الجدلية التداولية المعاصرة.

وهناك أيضا نظرية الحجاج الكلاسيكي عند أرسطو الذي ربط البلاغة بالحجاج الإقناعي من خلال التركيز على اللوغوس والإيتوس والباتوس. ويمكن الحديث كذلك عن بلاغة حجاجية عند الأرسطيين الجدد كشايم بيرلمان (Perleman) وألبريخت تيتيكا(Olbrechts Tyteca) ، ونظرية الحجاج التداولي المتعلقة بأفعال الكلام والاستلزام الحواري عند جون أوستين(J.Austin)، وسورل (Searl)، وكرايس(Paul Grice) ، وأحمد المتوكل...، ونظرية الحجاج الخطابي مع روث أموسي(Ruth Amossy)، ودومينيك مانكونو(Maingueneau)، وميشيل مايير (Michel Mayer)، وفايركلوث (Fairclough)، وموشلر(Moeschler)...، ونظرية الحجاج المنطقي الطبيعي مع السويسري جان بليز غرايس(J Blaise Grice).

وينتهي بحثنا هذا بوضع أسس المقاربة الحجاجية بغية التعامل مع الخطابات والنصوص والملفوظات اللغوية واللسانية التي تحوي ملامح حجاجية إما بشكل واضح وإما بشكل مضمر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الهوامـــش:

[1] – سورة النحل، الآية: 125، القرآن الكريم برواية ورش لقراءة نافع.

[2] – سورة الكهف، الآية 18، القرآن الكريم.

[3] – ابن خلدون **:تاريخ ابن خلدون**، الجزء الأول، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ص: 485.

[4] – ابن رشد: **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة 1999م، ص:57-58.

[5] – ابن رشد: **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، ص:63-64.

[6] – Douglas Walton: **Plausible Argument in Everyday Conversation**, SUNY Press, 1992, p. 177.

[7]– Krabbe, Erik C. et J. A. van Laar : (About Old and New Dialectic: Dialogues, Fallacies, and Strategies**). Informai Logic**, vol. 27, no l, 2007, p. 27-58.

[8] –Hintikka, Jaako: (Is Logic the Key to AlI Good Reasoning?). **Argumentation,** vol. 15, no 1, 2001, p. 35-57.

[9]- Woods J. et D. N. Walton: **Critique de l'argumentation: Logiques des sophismes ordinaires**. Paris: Kimé, 1992, 233 pages.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

[10]- Douglas Walton: **The New Dialectic: Conversational Contexts of Argument.** Toronto: University of Toronto Press, 1998, 304 pages.

11- انظر: أرسطو: **فن الخطابة**، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 2008م.

12- أرسطو: **فن الخطابة**، ص: 16.

13- Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca **: Traité de l'argumentation : La nouvelle rhétorique**, Presses Universitaires de France, Paris, 1958.

14- Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca : **Traité de l'argumentation : La nouvelle rhétorique,** Bruxelles, Editions de l'Université de Bruxelles, 2009 .Et **Le Champ de l'argumentation**, Bruxelles, Editions de l'Université de Bruxelles, 1969.

15- S.TOULMIN **: TheUses of Argument** (Cambridge,Cambridge University Press, 1958),Trad., Les Usages de l'argumentation (Paris, PUF, 1992). Voir aussi la dernière version« Updated » en anglais de 2003.

16 - C. L. HAMBLIN: **Fallacies** (London, Methuen, 1970), rééd. (Newport, VA, Vale Press, 1986).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

17- د.رضوان الرقبي: (الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله)، **مجلة عالم الفكر**، الكويت، العدد2، المجلد 40، أكتوبر- ديسمبر 2011م، ص:85.

18-Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca : op.cit, p: 36.

19-Ibid, p: 229.

20- Ibid, P: 31.

21- Ibid, P: 25.

22- Ibid, P: 5.

23-Ibid, P:43 .

24- أمينة الدهري: **الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة**، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2010م، ص: 139.

25- أمينة الدهري: **الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة**، ص: 143.

26- أمينة الدهري: نفسه، ص: 74.

27 -ANSCOMBRE J.C., DUCROT .O :**L'argumentation dans la langue**, Bruxelles, Mardaga, 1983.

28- د.أبوبكر العزاوي: **اللغة والحجاج**، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 2006م، ص: 8.

29- د.أبوبكر العزاوي: **اللغة والحجاج**،ص:8-9.

30- د.أبوبكر العزاوي: نفسه،ص:.20

31- د.أبوبكر العزاوي: نفسه، ص: 25.

32-O. Ducrot :(notes sur l'argumentation et l'acte d'argumenter), **Cahiers de linguistique française**, Genève, no : 4,1982 ; (opérateurs argumentatifs et

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

visée argumentative), **Cahiers de linguistique française**, Genève, no : 5,1983.

33- د. أبو بكر العزاوي: نفسه، ص: 33.

34- أبو بكر العزاوي: نفسه، ص: 105.

35- أبو بكر العزاوي: نفسه ، ص: 107.

36 -Amossy, Ruth : **L'argumentation dans le discours**, Paris, Colin,2006 .

37- Benveniste, Emile : **Problèmes de linguistique générale**, t. 2 Paris : Gallimard, 1974, p : 241.

38- Kerbrat-Orecchioni, Catherine: : **Les interactions verbales**, t. I, Paris : Colin1990.P : 54-55.

[39]-Charaudeau, Patrick. : **Le discours politique. Les masques du pouvoir** .Paris : Vuibert.2005P :12.

40 -Oléron, Pierre : **L'argumentation,** Paris, PUF, 1987, p : 4.

41-Breton, Philippe : **L'argumentation dans la communication**, Paris : La Découverte,1996.P :3.

42- Van Eemeren, Frans H., Grootendorst, Rob and Snoek Hoekemans, Francesca. : **Fundamentals of**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

Argumentation Theory. NJ / London, Erlbaum, 1996, p: 53.

[43]- Grize, Jean-Blaize **: Logique et langage**, Paris, Ophrys, 1990, p : 41.

44-Amossy, Ruth : **L'argumentation dans le discours**, Paris, Colin ,2006

45- Meyer, Michel : **Qu'est-ce que l'argumentation ?** Paris, Vrin, 2005, p : 15.

46- Plantin, Christian : **L'argumentation**, Paris, PUF, « Que sais-je? », 2005, p : 53.

47-Bakhtine, Mikhail (Volochinov) : **Le marxisme et la philosophie du langage, Paris**, Minuit, 1977, p : 105.

48-Amossy, Ruth : **L'argumentation dans le discours,** p : 32-34.

49- Jean-Blaise Grize **:(**LOGIQUE NATURELLE ET REPRÉSENTATIONS SOCIALES,) **Papers on Social Representations - Textes sur les Représentations Sociales,**
(1021-5573) Vol. 2 (3), 1-159 (1993).

50- Jean-Blaise Grize: **De la loqique à l'argumentation**, librairie Genève et Paris Droz, 1982,266Pages.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

51- GATTICO, Emilio : (Schématisation et logique naturelle). **Relations formelles et non formelles**. Université de Neuchâtel, Travaux du Centre de Recherches Sémiologiques, 1993, n° 61, p. 97-137.

52-GRIZE, Jean-Blaise : (L'argumentation : explication ou séduction), **L'argumentation**. Presses Universitaires de Lyon, 1981, p. 29-40.

53- انظر: أبو بكر العزاوي: (من المنطق على الحجاج)، حاوره: حافيظ إسماعيلي علوي، **مجلة فكر ونقد**، المغرب، العدد 61، سبتمبر 2004م.

54- Catherine kerbrat-Orrecchioni: **Ennonciation de la subjectivité dans le langage**, Paris, Armond Colin, 1980, p:181.

55- J.L.Austin:**Quand dire, c'est faire**, Editions du seuil, Paris, 1970.

56- John R.Searle: **les actes de langage**, Collection, savoir Herman, Paris, 1972.

57- راجع: جون أوستين: **نظرية أفعال الكلام العام**، ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2006م.

58- د. أحمد المتوكل: **اللسانيات الوظيفية**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 2010م، ص: 28.

59- د. أحمد المتوكل: نفسه، ص: 29-30.

60- د. أحمد المتوكل: نفسه، ص: 29-30.

61- د. أحمد المتوكل: نفسه، ص: 30.

62- أحمد المتوكل: نفسه، ص: 32.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

63-Toulmin, S. E. : **Les usages de l'argumentation**, Paris, PUF, 1993.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

☚المصادر والمراجع العربية:

1- القرآن الكريم برواية ورش لقراءة نافع.

2- ابن خلدون :**تاريخ ابن خلدون**، الجزء الأول، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة.

3- ابن رشد: **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة 1999م.

4- أبو بكر العزاوي: (من المنطق على الحجاج)، حاوره: حافيظ إسماعيلي علوي، مجلة فكر ونقد، المغرب، العدد 61، سبتمبر 2004م.

5- أبو بكر العزاوي: **اللغة والحجاج**، مطبعة العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2006م.

6- أحمد المتوكل: **اللسانيات الوظيفية**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 2010م.

7- أرسطو: **فن الخطابة**، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة 2008م.

8- أمينة الدهري: **الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة**، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2010م.

9- جون أوستين: **نظرية أفعال الكلام العام**، ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2006م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

10- د.رضوان الرقبي: (الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله)، **مجلة عالم الفكر**، الكويت، العدد2، المجلد 40، أكتوبر- ديسمبر 2011م.

☚ **المراجع الأجنبية:**

11- Amossy, Ruth : **L'argumentation dans le discours**, Paris, Colin,2006 .
12- ANSCOMBRE J.C., DUCROT .O : **L'argumentation dans la langue**, Bruxelles, Mardaga, 1983.
13-Bakhtine, Mikhail (Volochinov) : **Le marxisme et la philosophie du langage, Paris**, Minuit, 1977.
14- Benveniste, Emile : **Problèmes de linguistique générale**, t. 2 Paris : Gallimard, 1974.
15- Breton, Philippe : **L'argumentation dans la communication**, Paris : La Découverte,1996.
16- Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca **: Traité de l'argumentation : La nouvelle rhétorique**, Presses Universitaires de France, Paris, 1958.
17- Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca : **Traité de l'argumentation : La nouvelle rhétorique,** Bruxelles, Editions de l'Université de Bruxelles, 2009 .Et **Le Champ de l'argumentation**, Bruxelles, Editions de l'Université de Bruxelles, 1969.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

18- Charaudeau, Patrick. : **Le discours politique. Les masques du pouvoir** .Paris : Vuibert,2005 .
19- C. L. HAMBLIN: **Fallacies** (London, Methuen, 1970), rééd. Newport, VA, Vale Press, 1986.

20- Douglas Walton: **Plausible Argument in Everyday Conversation**, SUNY Press, 1992, p. 177.
21- Douglas Walton: **The New Dialectic: Conversational Contexts of Argument.** Toronto: University of Toronto Press, .1998 .

22- Hintikka, Jaako: (Is Logic the Key to AlI Good Reasoning?). **Argumentation**, vol. 15, no 1, 2001.

23- GATTICO, Emilio: (Schématisation et logique naturelle). **Relations formelles et non formelles.** Université de Neuchâtel, Travaux du Centre de Recherches Sémiologiques, 1993, n° 61, p. 97-137.
24- GRIZE, Jean-Blaise : (L'argumentation : explication ou séduction), **L'argumentation**. Presses Universitaires de Lyon, 1981.
25- Grize, Jean-Blaize : **De la logique à l'argumentation**, librairie Genève et Paris Droz, 1982.
26- Grize, Jean-Blaize **: Logique et langage**, Paris, Ophrys, 1990.
27- Grize, Jean-Blaize :(LOGIQUE NATURELLE ET REPRÉSENTATIONS SOCIALES), **Papers on**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

Social Representations - Textes sur les Représentations Sociales (1021-5573) Vol. 2 (3), 1-159 (1993).

28- J.L.Austin:**Quand dire, c'est faire**, Editions du seuil, Paris, 1970.

[29]- John R.Searle: **les actes de langage**, Collection, savoir Herman, Paris, 1972.

30- Kerbrat-Orecchioni, Catherine: **Ennonciation de la subjectivité dans le langage**, Paris, Armond Colin, 1980.

31- Kerbrat-Orecchioni, Catherine: **Les interactions verbales**, t. I, Paris, Colin1990.

32- Krabbe, Erik C. et J. A. van Laar: (About Old and New Dialectic: Dialogues, Fallacies, and Strategies**). Informai Logic**, vol. 27, no l, 2007, p. 27-58.

33- Meyer, Michel : **Qu'est-ce que l'argumentation ?** Paris, Vrin, 2005

34-O. Ducrot :(notes sur l'argumentation et l'acte d'argumenter), **Cahiers de linguistique française**, Genève, no : 4,1982 ; (opérateurs argumentatifs et visée argumentative), **Cahiers de linguistique française**, Genève, no : 5,1983.

35- Oléron, Pierre : **L'argumentation** , Paris, PUF,1987.

36- Plantin, Christian : **L'argumentation**, Paris, PUF, « Que sais-je? », 2005

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

37- Toulmin, S. E. : **Les usages de l'argumentation**, Paris, PUF ,1993.
38- S.TOULMIN **: TheUses of Argument** (Cambridge, Cambridge University Press, 1958), Trad., Les Usages de l'argumentation (Paris, PUF, 1992). Voir aussi la dernière version« Updated » en anglais de 2003.
39-Van Eemeren, Frans H., Grootendorst, Rob and Snoek Hoekemans, Francesca. : **Fundamentals of Argumentation Theory**. NJ / London, Erlbaum, 1996
40- Woods J. et D. N. Walton: Critique **de l'argumentation: Logiques des sophismes ordinaires**. Paris: Kimé, 1992.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفهـــرس:

تمهيد

- نظرية الحجاج الجدلي.
- نظرية الحجاج البلاغي الأرسطي.
- نظرية الحجاج البلاغي مع الأرسطيين الجدد.
- نظرية الحجاج اللغوي أو اللساني.
- نظرية الحجاج الخطابي.
- نظرية الحجاج التداولي.
- نظرية الحجاج المنطقي الطبيعي.
- آليات المقاربة الحجاجية.

خاتمـــة.

مصادر ومراجع.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- جميل حمداوي من مواليد مدينة الناظور بالمغرب سنة 1963م.
- حاصل على دكتوراه الدولة سنة 2001م.
- حاصل على إجازتين:الأولى في الأدب العربي، والثانية في الشريعة والقانون.
- أستاذ التعليم العالي.
- أستاذ الأدب العربي، والشريعة الإسلامية، وعلوم التربية.
- أديب ومبدع وناقد وباحث، يشتغل ضمن رؤية أكاديمية موسوعية.
- حصل على جائزة مؤسسة المثقف العربي (سيدني/أستراليا) لعام 2011م في النقد والدراسات الأدبية.
- رئيس الرابطة العربية للقصة القصيرة جدا.
- رئيس المهرجان العربي للقصة القصيرة جدا.
- رئيس الهيئة العربية لنقاد القصة القصيرة جدا.
- رئيس الهيئة العربية لنقاد الكتابة الشذرية ومبدعيها.
- رئيس جمعية الجسور للبحث في الثقافة والفنون.
- رئيس مختبر المسرح الأمازيغي.
- عضو الجمعية العربية لنقاد المسرح.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- عضو اتحاد كتاب العرب.
- عضو اتحاد كتاب الإنترنت العرب.
- عضو اتحاد كتاب المغرب.
- من منظري فن القصة القصيرة جدا وفن الكتابة الشذرية.
- خبير في البيداغوجيا والثقافة الأمازيغية.
- ترجمت مقالاته إلى اللغة الفرنسية و اللغة الكردية.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

♦ شارك في مهرجانات عربية عديدة في كل من: السعودية، والجزائر، وتونس، والإمارات العربية المتحدة، والعراق...

♦ مستشار في مجموعة من الصحف والمجلات والجرائد والدوريات الوطنية والعربية.

♦نشر العديد من المقالات الورقية المحكمة وغير المحكمة، وعددا لا يحصى من المقالات الرقمية، وأكثر من اثنين وثمانين كتابا في مجالات متنوعة.

– ومن أهم كتبه: نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، ومقومات القصة القصيرة جدا عند جمال الدين الخضيري، وأنواع الممثل في التيارات المسرحية الغربية والعربية، وفي نظرية الرواية: مقاربات جديدة، وأنطولوجيا القصة القصيرة جدا بالمغرب، والقصيدة الكونكريتية، ومن أجل تقنية جديدة لنقد القصة القصيرة جدا ، والسيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، والإخراج المسرحي، ومدخل إلى السينوغرافيا المسرحية، والمسرح الأمازيغي، ومسرح الشباب بالمغرب، والمدخل إلى الإخراج المسرحي، ومسرح الطفل بين التأليف والإخراج، ومسرح الأطفال بالمغرب، ونصوص مسرحية، ومدخل إلى السينما المغربية، ومناهج النقد العربي، والجديد في التربية والتعليم، وببليوغرافيا أدب الأطفال بالمغرب، ومدخل إلى الشعر الإسلامي، والمدارس العتيقة بالمغرب، وأدب الأطفال بالمغرب، والقصة القصيرة جدا بالمغرب،والقصة القصيرة جدا عند السعودي علي حسن البطران، وأعلام الثقافة الأمازيغية...

- عنوان الباحث: جميل حمداوي، صندوق البريد1799، الناظور62000، المغرب.
- الهاتف النقال:0672354338
- الهاتف المترلي:0536333488
- الإيميل:Jamilhamdaoui@yahoo.fr